بستان الخطيب

د/ أمير بن محمد المدري

مكتبة خالد بن الوليد
دار الكتب اليمنية

الجزء التاسع

الطبعة الثالثة

الحقوق محفوظة

«الطبعــة الثالثة»

«1445 هـ- 2023م»

المحتويات

المحتويات 3
المقدمة 6
اسم الله اللطيف 10
الدنيا وحقيقتها (1) 22
الدنيا وحقيقتها (2) 34
الدنيا وحقيقتها (3) 48
حجة الوداع دروس وعبر 61
وصايا في رمضان 74
العشر الأواخر – ليلة القدر 82
قاعدة الفوز 92
عقوق الوالدين (1) 104
عقوق الوالدين (2) 115
عقوق الوالدين (3) 126
عقوق الوالدين (4) 137
منزلة السنة النبوية 152
نهاية العام 162

القلوب وقسوتها(1) 172
القلوب وقسوتها(2) 181
أبناؤنا والقرآن(1) 191
أبناؤنا والقرآن(2) 203
التعلق بالله 214
أصحاب الغار دروس وعبر (1) 226
أصحاب الغار دروس وعبر (2) 240
المولد دروس وعبر 252
الاستبداد السياسي (1) 264
الاستبداد السياسي (2) 276
ختاماً... 288

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى... وبعد

، فإن الخطابة هي فن مشافهة الجماهير والتأثير عليهم، وخطبة الجمعة كانت ولا تزال لها أثر كبير إذا أُدِّيت على الوجه الصحيح.

، وأما صفات الخطيب الناجح، أو الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يخطب الجمعة، فمن الممكن أن نلخصها في الأمور التالية:

أولاً: يجب أن يشعر الخطيب بأنه صاحب رسالة يؤديها، ويقصد من خلالها وجه الله، حتى، ولو كانت تلك وظيفته التي يقتات منها، وذلك؛ لأن صاحب الرسالة يستفرغ كل طاقته في محاولة توصيلها للناس، لا يكل ولا يمل.

والمشكلة الآن أن الخطابة أصبحت وظيفة فقط عند بعض الخطباء، وهذا ما ضيَّع كثيرًا من فائدتها.

ثانياً: الخطابة فن، ولذا ينبغي لمن يتصدى لها أن يكون ذا موهبة، يثقلها بالعلوم والمعارف المختلفة، ذات الصلة الوثيقة بعلم الخطابة، فسعة الاطلاع خير معين للخطيب في أداء خطبته بقوة وتأثير.

ثالثاً: الناس ينظرون إلى سلوك الخطيب، ويدققون النظر فيه، ولذا ينبغي أن تتطابق أفعاله مع أقواله، فالتزام الخطيب بأحكام الإسلام بوجه عام، وتطبيق ما يدعو إليه في خطبته، يجعل لكلامه قبولاً عند المستمعين، أما مخالفة القول للعمل، فأكثر المستمعين لا يثقون به ولا بكلامه.

رابعاً: أن يكون الخطيب شجاعًا في قول الحق، مع التحلي بالحكمة وحُسن التقدير للموقف، بعيدًا عن التهور والاندفاع غير المحسوب، فالشجاعة في قول الحق صفة أساسية لابد وأن يتحلَّى بها الخطيب؛ لأنه سيتعرض لأمور كثيرة إن لم تكن عنده الشجاعة الكافية فلن يستطيع أن يوفيها، وكما نطالب الخطباء بالشجاعة، فعلى الحكومات والوزارات المعنية أن توفر جانبًا من الحرية للخطباء، كما توفر هامشًا - قل، أو كثر - للصحافة وأجهزة الإعلام.

خامساً: أن يكون وثيق الصلة بجمهوره، أقصد مستمعيه، وأن يُحدِثَ تقاربًا بينه وبينهم، فيعود مرضاهم، ويسأل عن غائبهم، ويشارك في وضع الحلول لمشكلاتهم، وكلما اقترب من المدعوين ووقف بجانبهم في أزماتهم، كلما كان ذلك أدعى إلى التفافهم حوله.

مع ملاحظة أن يعف نفسه عما في أيدي الناس، وكما ورد في الحديث الشريف: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في ما في أيدي الناس يحبك الناس**»، [رواه ابن ماجة بسندٍ صحيح كتاب الزهد (4154)].

سادساً: أن يكون على قناعة تامة بما يدعو إليه، حتى يكون قادرًا على الإقناع والتأثير، فالإيمان بقضية ما يجعل صاحبها يدافع عنها بكل ما يملك.

سابعاً: اختيار موضوع الخطبة من واقع الحياة التي يحياها الناس، ومناقشة المشكلات الاجتماعية المتعددة، ومحاولة طرح الحلول لها، أما الموضوعات السلبية التي لا تعالج أمراض المجتمع وعلله المختلفة، فإن الاستفادة منها تكون قليلة.

ويا حبذا لو اتفق خطباء الحي، أو المنطقة على موضوع واحد، كلٌ يعالجه بطريقته الخاصة، فستكون النتيجة أفضل.

ثامناً: فصاحة اللسان، وسلامة مخارج الحروف، مع مراعاة حُسن الإلقاء، قوةً ولينًا، فلا يكون الإلقاء على وتيرة واحدة، حتى لا يمل السامع.

تاسعاً: حُسن الهندام والمظهر، فينبغي عليه أن تكون ملابسه وهيئته حسنة.

عاشراً: مع الإعداد الجيد، ومع كل ما سبق: التوكل على الله، وطلب العون منه، كما فعل ذلك نبي الله موسى عليه السلام، حينما دعا ربه قائلاً: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾[طه: 25-27] (1).

وبعد هذا التطواف مع بعض صفات الخطيب الناجح ها نحن نحط رحالنا مجدداً مع كتاب (**بستان الخطيب**)- **الجزء التاسع** – ولله الحمد والمنة أولاً على ما تفضل وأنعم علي بانتشار هذا الكتاب بطبعات مختلفة، ثم الشكر ثانياً لك أيها القارئ الكريم لاقتنائك هذا الكتاب، والله أسأل أن ينفع به، و يجعله صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن يكون ذخراً ليوم المعاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلى واعلم. وصلّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

د/ أمير بن محمد المدري

(1) إن أردت الاستزادة أخي الحبيب فبإمكانك الرجوع الى كتاب: (خمسون وصية ووصية لتكون خطيباً ناجحاً) للمؤلف.

اسم الله اللطيف

الحمد لله ذي الملك والملكوت ذي العزة والجبروت الحي الذي لا يموت

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: 82]

وأشهد أن لا إله إلا الله كلمةٌ تخرج من صميم الفؤاد.

لا إله إلا الله كلمةٌ تنفع صاحبها يوم المعاد.

لا إله إلا الله كلمةٌ من قالها مخلصاً بها أدخله الله جنةً عرضها السماوات والأرض.

وأشهد أن نبينا محمد المصطفى وحبيبنا المجتبى صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى.. اللهم أحينا على سنته، واحشرنا في زمرته، واسقنا من حوضه شربةً لا نظمأ بعدها أبداً.

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى وكونوا مع الصادقين، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: 3]

عباد الله: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة. إنها جنة معرفة الله وأسمائه وصفاته، إنها جنة العبودية، إنها جنة الطاعة والتذلل والخضوع والخشوع لله والبكاء من خشية الله ﷻ.

اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعلانية يارب العالمين.

عباد الله: وسائل وألوان التعرف على الله كثيرة جداً، أسماها وأقواها وأرقاها منزلةً: التدبر في أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وفي الصحيحين عن النبي -ﷺ- قال: «إن لله تسعةٌ وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة»، أي: من تدبرها وحفظها ووعاها، وتعبّد الله بها، وعايشها واقعاً في حياته اليومية دخل الجنة.

أيها المسلمون: نعيش مع اسمٍ من أسماء الله الحسنى.

اسمٌ في غاية اللطف والرفق.

اسمٌ جامع يدل على علم الله بالأمور والسرائر، واطلاعه على مكنون الضمائر وتدبيره للعباد من حيث لا يعلمون.

إنه اسمٌ يدل على العلم والحكمة والقوة والرحمة والرفق والرأفة والجود والمنة.

انه اسمٌ يسكب على النفوس الطمأنينة والراحة النفسية. هل عرفتموه؟ إنه اسم الله "اللطيف".

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [سورة الشورى: 19].

اسم الله اللطيف يعالج القهر والالم في نفوسنا ونحن نرى ما يحصل لإخواننا في غزة من بلاءٍ عظيم.

اسم الله اللطيف يربيك وأنت ترى أزمات في حياتك وأنت لا تدري لماذا؟؟

اسم الله اللطيف يعلمك ويفهمك أنه من رحم المعاناة والألم والمصائب يخرج الله الفرج والتيسير .

عباد الله :

إن هذا الاسم العظيم: (اللطيف) قد ذكره الله جل في علاه في سبعة مواطن من كتابه، في سبع سور من القران الكريم: الأنعام ويوسف والحج ولقمان والأحزاب والشورى وأخيراً سورة الملك .

سبحانه لطيف يعلم دقائق الأمور ولا يخفى عليه شيء : قال جل في علاه:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14]

من لطف الله الخفي أنك لا تراه ولا تستطيع أن تراه، ولكن تستشعر وجوده، وترى نعمه وإحسانه، وفضله وبرَّه ورحمته، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: 103].

معنى اسم الله اللطيف: البار بأوليائه، البار بعباده اللطيف بهم.

أخي الحبيب: تأمل وتفكر في حياتك الماضية وفي سنينك المنقضية كم هي المواطن والمواقف التي سكب الله عليك من لطفه، ودفع عنك من الشرور

بلطفه وأعانك على طاعته بلطفه، ومنعك معصيته بلطفه، وسخر لك من نعمه بلطفه، إنه اللطيف.

اسم الله اللطيف: يعني أن الله جل وعلا يدبر لعباده من حيث لا يعلمون، ويجعل لهم المصالح من حيث لا يحتسبون، هو اللطيف أخفى الأشياء في أضدادها، يخفي الخير داخل الشر، والنصر في باطن ا لهزيمة، واليسر في جوف العسر.

أخي الحبيب: إذا أراد اللطيف أن ينصرك أمر ما لا يكون سبباً في العادة، فكان أعظم الأسباب، وإذا أراد اللطيف أن يكرمك جعل من لا ترجو الخير منه هو سبب أعظم العطايا التي تنالك، وإذا أراد اللطيف أن يصرف عنك السوء جعلك لا ترى السوء، أو جعل السوء لا يعرف لك طريقاً، أو جعلكما تلتقيان وتنصرفان عن بعضكما وما مسّك منه شيء، وإذا أراد اللطيف أن يعصمك من معصية.. جعلك تبغضها..، أو جعلها صعبة المنال منك..، أو أوحشك منها، أو جعلك تقدم عليها فيعرض لك عارض يصرفك به عنها..، فلا اله إلا الله اللطيف.

عندما أراد اللطيف أن يُخرج يوسف عليه السلام من السجن.. لم يدكدك جدران السجن، لم يأمر ملك الموت أن ينزع الحياة من أجساد الظلمة، لم يأذن

لصاعقة من السماء أن تقتلع القفل الحديدي.. فقط جعل المِلك يرى رؤيا في المنام تكون سبباً خفيّا لطيفاً يستنقذ به يوسف الصدّيق من أصفاد الظلم!

إنه اللطيف سبحانه

انظر أخي الكريم إلى يوسف عليه السلام، كيف لطف الله به، وهو في غيابت الجب ونقله إلى قصر العزيز.

كيف لطف به حين راودته امرأة العزيز فحماه من الوقوع في المعاصي،

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: 24]

كيف لطف به، وهو في ظلمات السجن فنقله إلى مُلك مصر.

سبحان اللطيف من يصدّق أن الذي في السجن سيخرج ويصبح ملكاً على هذه الأرض، ولهذا استغرب اخوته ﴿٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف: 89-90].

أعلنها صراحة: أنا يوسف، ظُلمت، واشتد علي الكرب، لكن ألطاف الله أسرعت نحوي، فبفضل الله ولطفه ورحمته قد أصبحت كما ترون.

فيا أيها المظلوم أيها المقهور يا أيها المكروب في كل مكان: أبشروا فهناك اللطيف سبحانه -اللهم الطف بنا والمسلمين في كل مكان يارب العالمين.

ها هو رجل يركب البحر وتنكسر به سفينته فيسبح إلى جزيرة في وسط البحر ويمكث ثلاثة أيام لم يذق طعاماً ولا شراباً، ويئس من الحياة فقام ينشد ويقول:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي *** وصار القار كاللبن الحليب

لا يمكن أن يكون القار كاللبن ولا يمكن أن يشيب الغراب، معنى ذلك أنه يئس وأيقن بالموت، وإذا بهاتف يهتف ويقول:

عسى الكربُ الذي أمسيت *** فيه يكون وراءه فرجٌ قريب

وبينما هو يسمع هذا النداء، وإذا بسفينة تمر فَيُلوح لها، فتأتي فتحمله وإذ على ظهر السفينة أحدهم يردد منشداً.

عسى فرجٌ يأتي به الله إنـــه *** لـــه كل يومٍ في خليقته أمـر

إذا لاح عسرٌ فارج يسرا، فإنه *** قضى الله أن العُسر يتبعه اليسر

اللهم يسّر أمورنا واغفر ذنوبنا واجعل لنا من كل همٍ فرجا، ومن كل ضيقٍ مخرجا.

ولما شاء اللطيف أن يعيد موسى عليه السلام إلى أمّه لمعل حرباً تقوم.. يتزعّمها ثوّار بني إسرائيل ضد طغيان فرعون يعود بعدها المظلومون إلى سابق عهدهم.. لا، بل جعل فم موسى لا يستسيغ حليب المرضعات..

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ [القصص: 12] بهذا الأمر الخفيّ اللطيف يعود موسى إلى أمّه بعد أن صار فؤادها فارغاً، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [القصص: 13]

إنه اللطيف سبحانه.

ولما شاء اللطيف أن يخرج رسولنا عليه الصلاة والسلام، ومن معه من عذابات حصار الشعب لم يرسل صيحة تزلزل ظلم قريش.. فقط أرسل الأرَضَة -تلك الحشرة الصغيرة- تأكل أطراف وثيقة الظلم وعبارات التحالف الخبيث.. فيصبحون، وقد تفككت عُرى الظلم بحشرة لا تكاد ترى..

إنه اللطيف سبحانه.

تأمل لطف الله بك .. تنام فيحبّ أن تقوم تصلي بين يديه.. فيرسل ريحاً هادئة تحرّك نافذتك..، أو طفلاً من أسرتك يمرّ ويحدث ضوضاء بجوار غرفتك، أو حاجة شديدة في شرب شيء من الماء.. فتستيقظ وتنظر إلى الساعة.. وبعد دقائق تكون واقفاً على السجّادة تناجيه ولا تعلم أنّه هو من أيقظك..

تقود سيارتك في مرتفعات الجبال ثم فجأة ترى من الضرورة أن توقف سيّارتك جانباً لتتأكد من وجود شيء في درج السيارة (هويّتك، أو محفظة

نقودك).. وبعد ثوانٍ ترى أمامك صخرة عظيمة هابطة من أعلى الجبل لو لم تقف لدكدكتك وسيارتك.. فتكمل رحلتك سالماً.. ولا تعلم أنّه هو من أنقذك!

تخطط لمعصيته.. تخرج ليلاً.. تفاصيل الخطّة محكمة، فجأة تمرّ سيارة من بعيد، فتشك أنت أن أحدهم يراقبك، فتنغّص تلك السيارة المارّة فكرة الذنب لديك.. فتبرد إرادتك وتعود إلى بيتك.. ولا تعلم أنّه هو من صرفك بلطفه عن معصيته!

إنه اللطيف سبحانه.

وكم لله من لطفٍ خفـــــيّ ... يدقّ خفاه عن فهم الذكيّ
وكم أمر تُساء به صباحـــــاً ... فتأتيك المسرّة في العــشيّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فثق بالواحد الفرد العــليّ

أخي الحبيب: إذا رأيت الأرض صفراء بلقعاً.. ثم تكوّم السحاب فوقها.. ثم تصافعت الرعود ونزل المطر فاهتزت تلك الأرض واخضرّت، فلا تقل إن مثل هذا أمر طبيعي.. وتدبّر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج: 63]

مهما تباعدت أحلامك وصار بينك وبينها مفاوز شاسعة فاللطيف يأتي بها: ، فلا تيأس وربّك لطيف لما يشاء.

تأمّل حبّة الخردل.. إنّك لا تكاد تراها إن لم تكن محدّقا فيها.. انظر إلى حجمها بالنسبة لكفك.. ثم بالنسبة لحجم غرفة مثلا.. ثم بيت.. ثم قارن حجمها بحيّك.. ثم بمدينتك.. ثم بدولتك.. وبعد ذلك بقارّتك.. ثم بالأرض.. ثم بالسماوات الفسيحة.. ثم ثق: إن أرادها الله فسيأتي بها "

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾ [لقمان: 16]

انظر لنفسك لحظة أن تدخل الغرفة في اللحظة التي يكاد طفلك أن يسقط فيها من على السرير وتساءل: لماذا الآن بالذات دخلت الغرفة؟

لا اله الا الله اللطيف سبحانه.

تأمّل ذاتك يوم أن تدخل المطبخ لتشرب الماء، فإذا بك تسمع أزيز الكهرباء من فيش الغلاية، أو الميكروويف.. فتفصله وأدخنة الحريق كانت في بدايتها.. **وتساءل:** ما الذي أدخلك في هذه اللحظة بالذات.. لماذا لم تتأخر خمس دقائق فقط؟

إنه اللطيف سبحانه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

، أما بعد: عباد الله:

ما حظ العبد من هذا الاسم العظيم (اللطيف)؟

أولاً: حظ العبد من هذا الاسم الرِفقُ بعباد الله واللطف بهم، فمن رفق بعباد الله رفق بهم، ومن رحم عباد الله رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن شق على عباد الله شق الله عليه، من ظلم عباد الله انتقم الله منه، ولو كان المظلوم حيواناً، ولو بعد حين...

ثانيا: من حظ العبد من هذا الاسم العظيم أن ينتقي لطائف القول في حديثه مع الآخرين، ويَبَش في وجوههم، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: أَنَّ رَسُولَ اللهِّ قَالَ «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ومَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**» [صحيح مسلم].

فلابد على العبد أن يكون هينًّا لينًّا رقيقاً، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ألا أُخبركم بمن يحرم على النار، ومن تحرم عليه النار؟.. على كل قريبٍ هيّن سهل**» [رواه الترمذي وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (1744)]

ثالثاً: من حظ العبد من هذا الاسم العظيم إذا عَلِمَ العبد أن ربَّه متصفٌ بدقة العلم، وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة، حـــاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته؛ لأنه يعلم في كل وقتٍ وحين أنه بين يدي اللطيـف الخبيـر.قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء: 47].. وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7ـ8]

رابعاً: من حظ العبد من هذا الاسم العظيم الذل والانكسـار..

، فإذا أردت أن يعاملك الله ﷻ بلطفه، عليك أن تذل وتنكسر بين يديه..

تضـــاعف ما استطعت، فإنَّ اللطف مع الضعف أكثر.

خامسا: من حظ العبد من هذا الاسم أن يحب اللطيف ويتأمّل عطاياه..و أن يزيد من ذكره ومراقبته وحبّه ورجائه وخوفه..

حظ العبد أن يدعو اللطيف

قل في خشوع: يا خفيّ الألطاف نجّنا مما نخاف.. اللهم يا لطيف الطف بنا.. والطف لنا.. وقدّر لنا من ألطافك الرحيمة ما تقوّم به عوج نفوسنا.. وتهدي به ضال قلوبنا.. وتجمّل به شعث حياتنا.. اللهم يامن رددت يوسف إلى يعقوب رد إلينا أمننا، اللهم إنا نسألك برحمتك التي حفظت بها يونس في بطن الحوت أن

تحفظ علينا ديننا من كيد الكائدين اللهم إنا نسألك برحمتك التي شفيت بها أيوب أن تشفي أمراضنا وترحم موتنا وتفرج همومنا.

هذا وصلوا – رحمكم الله – على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك، فقال في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ اللهَّ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾. اللهم صل وسلم على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

الدنيا وحقيقتها (1)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد،

عباد الله: اتقوا الله واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخ في الصورِ، ويُبعث من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ.

اللهم ارحم وقوفنا بين يديك، ولا تُخزنا يوم العرض عليك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله: طفت ببصري متأملاً أحوال الناس في هذه الحياة فوجدت عجباً؛ وجدتُ كثير من الناس غارقين في بحار الدنيا.

يتخبَّطون بين أمواجها، يتنافسون على شهواتها وملذَّاتها، يتسابقون على جمْع حُطامها، يَسكرون من كأس شرابها.

من أجْل متاعها، يَخون الناس الأمانات، ويَنكثون العهود، ويَجحدون الحقوق، وينسَون الواجبات.

من أجل الدنيا ومناصبها نشأت حروب وأُحرقت قرى ومدن، وشُرّد الألاف.

من أجل الدنيا يتخاصم الأخ مع أخيه وأمه وأبيه.

من أجل متاعها، يفترس القوي الضعيفَ، ويَلتهم الكبير الصغير، ويبغي الناس بعضُهم على بعض، ويعيشون كسباع الغابة، أو أسماك البحار.

من أجل متاعها، يغِش التجار ويُطفِّفون، ويَطغى الأغنياء ويترفون، ويتجبَّر أصحاب الجاه والمناصب ويستعلون إلا من رحم الله.

كل هذا وأكثر من أجل متاع الدنيا، وكأننا ما سمعنا قول ربنا: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: 185] وكأننا ما سمعنا قول ربنا: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: 77]

إي وربي إنها متاع، وأي متاع؟ إنها متاع الغرور متاعُ الخداع، متاعُ الباطل، متاعُ الزيف والسراب، فيا ليت شعري كيف نسينا أن الدنيا متاع يتمتع به صاحبه بُرهة ثم ينقطع ويفنى؟.

أرى طالب الدنيا، وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبانٍ بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

عجيب كيف استدرجتنا الدنيا بمكرها وكيدها، وصادتنا بشباكها حتى وثقنا بها.

كيف انشغلنا بجمع حطامها ولم نعمل للآخرة.

كيف نسينا أن الدنيا أهون على الله من الجدي الميت على أهله؟ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أ ن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر بالسوق بجدي ميت أسك - والأسك هو صغير الأذنين، والجدي هو ولد المعز - فتناوله النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخذه بأذنه ثم قال: **أيكم يحب أن يشتري هذا بدرهم؟** قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك -، أي صغير الأذنين - فكيف، وهو ميت، فقال: «**فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**» [رواه مسلم].

أيها الأكارم: لقد أعطينا الدنيا فوق حجمها فتعالوا لنعيش مع الدنيا وحقيقتها.

تعالوا لنعيش مع الدنيا وحقيقتها.

أول حقيقة من حقائق الدنيا **أنها قصيرة سريعة الزوال**.

نعم الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء... تِعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء. تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة، وهي سائرة سيراً عنيفاً ومرتحلة ارتحالا سريعاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: 24].

هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به ويزدهر. وها هي ذي الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج. وأهلها مزهوون بها، يظنون أنها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزينت، وأنهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيّرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع.

وفي وسط هذا الخصب، وفي نشوة هذا الفرح، وفي غمرة هذا الاطمئنان الواثق.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾.

في ومضة، وفي لحظة، وفي خطفة؛ مات فارق الدنيا وشهواتها، كأنه ما تمتّع، كأنه ما ارتقى المناصب، كأنه ما تمتّع بالشهوات.

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا ... وقد نسجت أكفانه، وهو لا يدري

وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من عروسٍ زينوها لعرسها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صحيحٍ مات من غير علّةٍ ... وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهر

هذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض الناس، ويُضيّعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع.

عباد الله: مثَل الدنيا مثل إناء مملوء عسلا رآه الذباب، فأقبل نحوه فبعضه قعد على حافة الإناء، وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته، ثم طار وبعضه حمله الشره على أن رمى بنفسه في لجة الإناء ووسطه، فلم يدعه انغماسه فيه أن يتهنأ به إلا قليلا حتى هلك في وسطه.

هذه هي الدنيا التي يجمع لها الإنسان ليل نهار؛ فاذا ما دُعي للإنفاق في وجوه الخير في سبيل الله بخل واستغنى. ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل: 96]

هذه الدنيا أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب وحرامها عقاب، من استغنى بها فُتن، ومن افتقر إليها حزن، ومن سعى لها فاتته، ومن أبتعد عنها أتته، ومن نظر إليها أعمته. فلا تشغلنك عن ذكر الله وطاعته.

أيا من عاش في الدنيا طويلا وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى وجمع من حرامٍ، أو حلال
هب الدنيا تُقاد إليك عفوا أليس مصير ذلك للزوال

عباد الله: أجمل وأفضل وأغلى ما في الدنيا لذة الانكسار والخضوع والسجود بين يدي الخالق سبحانه، وأجمل وأفضل وأعظم ما في الآخرة لذة النظر إلى وجهه الكريم؛ اللهم لا تحرمنا عبادتك في الدنيا، ولذة النظر إلى وجهك الكريم. في الآخرة.

وصف القرآن الكريمُ الدنيا كزهرةٍ تزهِر بنضارَتها، تُسحِر الألباب، تستهوي القلوبَ، ثمّ لا تلبث فترة حتى تذبُل فتتلاشى تلك النضَارة، وتحطّمها الريح، كأنّها لم تكن، هكذا مثل الدّنيا، زهرةٌ فتّانة تشد الناظرين إليها؛ فإذا أقبلت عليها النفوس وتعلّقت بها الألباب انتهت أيّامها وذبُلت نضارتها؛ فأصبح نعيمها زائل، وصدق الله القائل: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف: 45]

هذا التصوير البليغ يوضح حقيقة الدنيا؛ كيلا يصبح الناس عبيداً لها تستهويهم خضرتها ويؤثرونها على نعيم الآخرة.

عباد الله: ما الحكمة من تشبيه الدنيا بالماء في سورة الأعراف وسورة الكهف، وسورة الزمر، وسورة الحديد؟

شبّه الله ﷻ الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حالٍ واحد، ولا يقر لها قرار.

ثمانيةٌ لابد منها على الفتى ولابد أن تجرى عليه الثمانية
سرورٌ وهمٌ وأجتماعٌ وفُرقةٌ وعسرٌ ويسرٌ ثم سُقمٌ وعافية

شبّه الله ﷻ الدنيا بالماء؛ لأن الماء إذا كان بقدَرٍ كان نافعاً، وإذا جاوز المقدار كان مُهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

شبّه الله ﷻ الدنيا بالماء؛ لأن الماء إن أمسكته تغيّر ونتن، وكذلك الدنيا لمن أمسكها بلية.

وإليك هذا البيان النبوي من حبيبك عليه الصلاة والسلام، فعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: نام رسول الله –ﷺ– على حصير فقام، وقد أثّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء؟!، فقال: «**ما لي وللدنيا! ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»[أخرجه الترمذي (4 / 508) رقم (2377) وقال: حسن صحيح وابن ماجه (2 / 1376) رقم (4109). وأحمد (1 / 301). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (5668، 5669)].

أخي الحبيب: تأمل حُسْن هذا المثال ومطابقته للواقع؛ فإنها في خُضرتها كشجرة، وفى سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئا كالظل، والعبد مسافراً إلى ربه والمسافر إذا رأى شجرة في يومٍ صائف لا يحسن به أن يبنى تحتها داراً ولا يتخذها قراراً، بل يستظل بها بقدر الحاجة، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق.

أخي في الله:

إن عمر الدنيا قصير والله قصير وأغنى غني فيها فقير وكأني بك في سكرات الموت وأيام الدنيا وساعات الدنيا وشهواتها تمر عليك مر البرق.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: 46]

يمر شريط الذكريات والجلسات والضحكات والشهوات، وهنا يحل الندم يا ليتني قدمت، يا ليتني تصدقت؛ فهنيئاً لمن اغتنم حياته بالطاعات وفعل الصالحات، وأكثر من ذكر رب الأرض والسماوات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها الحبيب:

احفظ هذه الوصية النبوية الثمينة.

فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمنكبي، فقال: «**كُن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: **(إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)** [أخرجه البخاري في الرقاق (6416)].

وها هو ابن القيم -رحمه الله- يضرب الأمثال ويقول:

مثل أهل الدنيا في غفلتهم مثَل قومٍ ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاّح (القبطان) بالخروج لقضاء الحاجة وحذّرهم الإبطاء، وخوّفهم مرور السفينة فتفرقوا في نواحي الجزيرة فأما فريق فقضى حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده، وفريق وقف في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ويسمع

نغمات طيورها ويعجبهم حُسن أحجارها ثم حدثتهم أنفسهم بفوت السفينة وسُرعة مرورها وخطر ذهابها فلم يصادفوا إلا مكاناً ضيّقاً فجلسوا فيه، وفريق أكب على تلك الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحملوا منها حملهم فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكاناً ضعيفاً وزاده حملهم ضِيقاً و ثُقلاً عليهم ووبالاً ولم يقدروا على رميه، ولم يجدوا لهم في السفينة موضعاً فحملوه على اعتاقهم، وندموا على أخذهم؛ فلم تنفعهم الندامة، ثم ذبلت الأزهار وتغيرت أراييجها وآذاهم نتنها، وفريق تأخر في تلك الجزيرة ونسوا السفينة واشتغلوا باللهو في الجزيرة ثم من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبق فيها موضع فمات على الساحل، ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع ونهشته الحيات، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك؛ فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم وعاقبة أمرهم وما أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هشيماً قد شغل باله وعوّقه عن نجاته ولم يصحبه.

والمثال الثاني للدنيا وأهلها: يُحكي أن رجلاً رأى في المنام أنه كان يتمشى في أدغال غابة حيث الطبيعة الخلابة، وكان يتمتّع بمنظر الأشجار ويستمتع بتغريد العصافير.

وبينما هو مستمتع بتلك المناظر سمع صوت عدْوٍ سريع والصوت في ازدياد ووضوح، والتفت الرجل إلى الخلف، وإذا به يرى أسداً ضخم الجثة منطلق بسرعة نحوه.

أخذ الرجل يجري بسرعة والأسد وراءه، وعندما أخذ الأسد يقترب منه رأى الرجل بئراً قديمة، فقفز الرجل قفزة قوية، فإذا هو في البئر وأمسك بحبل البئر الذي يسحب به الماء، وأخذ الرجل يتمرجح داخل البئر، وعندما أخذ أنفاسه وهدأ روعه وسكن زئير الأسد ، وإذا به يسمع صوت فحيح ثعبان ضخم الرأس عريض الطول بجوف البئر وفيما هو يفكر بطريقة يتخلص منها من الأسد والثعبان إذا بفأرين أسود والآخر أبيض يصعدان إلى أعلى الحبل وبدءا يقرضان الحبل و أنهلع الرجل خوفاً وأخذ يهز الحبل بيديه بُغية أن يذهب الفأرين وأخذ يزيد عملية الهز حتى أصبح يتمرجح يميناً وشمالاً بداخل البئر وأخذ يصدم بجوانب البئر، وفيما هو يصطدم أحس بشيءٍ رطب ولزج ، وإذا بذلك الشيء عسل النحل، فقام الرجل بالتذوق منه فأخذ لعقةً وكرر ذلك، ونسي أن هناك أسد في انتظاره، وفأران يقرضان الحبل وثعبانٌ ضخم فاتحٌ فاه ينتظر سقوطه.

وقصّها على معبر؛ فقال المعبّر: الأسد الذي يجري ورائك هو ملك الموت، والبئر الذي به الثعبان هو قبرك، والحبل الذي تتعلق به هو عمرك، والفأرين الأسود والأبيض هما الليل والنهار يقصون من عمرك.

قال: والعسل يا شيخ؟؟ قال هي الدنيا من حلاوتها أنْسَتك أن وراءك موت وحساب!!

عباد الله: حديثنا عن الدنيا لم ينته بعد ولنا موعدٌ آخر إن كان في العمر بقية.

ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

الدنيا وحقيقتها (2)

الحمد لله ولي من اتقاه، من توكل عليه كفاه، ومن دعاه أجابه، ومن سأله أعطاه، ومن خافه قلة خطاياه. أحمده سبحانه وأشكره، وأستعينه واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحقٍ سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله اصطفاه واجتباه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن نصره وآواه واقتفى أثره واتبع هداه.

أخلاق المسلم:

عاشر بمعروفٍ فإنك راحلُ ... واترك قلوب الناس نحوك صافية

واذكر من الإحسان كل صغيرةٍ ... فاللهُ لا تخفى عليه الخافية

لا منصبٌ يبقى ولا رُتَبٌ هنا ... أحسِن فذكرك بالمحاسنِ كافيةْ

واكتب بخطك إن أردت عبارةً ... لا شيء في الدنيا يساوي العافيةْ

اللهم عافنا واعف عنا واختم لنا بالباقيات الصالحات أعمارنا يارب العالمين،

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: 102] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]

ما زلنا وإياكم مع الدنيا وحقيقتها، الدنيا وزينتها، الدنيا وشهواتها.

ومع اللقاء الثاني، وما زلنا مع **الحقيقة الأولى الدنيا قصيرة سريعة الزوال**.

أيها المسلمون عباد الله: لا شك أن الإنسان من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كُتب له، والأيام والليالي مراحل لسفره، فلا يزال يطويها مرحلةً بعد مرحلة حتى ينتهي السفر.

الإنسان جنين في بطن أُمِّه، ثم مولود، فبالِغ عاقل مسؤول، فشيخٌ كبير هرم ثم تأتي ساعة الموت، فإذا هو داخل القبر، لحظاتٌ سريعة تمر كالبرق، يراها في الآخرة كأنها ساعةً من نهار؛ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: 35]

أو يراها كأنها عشيَّةً أو ضُحاها؛ قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: 46]

أفمن أجْلِ عشيَّة أوضُحاها يضحُّون بالآخرة، ويتقاتلون على الدنيا ويتطاحنون، من أجل ساعةً من نهار يبيع الإنسان جنة عرضها السماوات والأرض! ألا إنها الحَماقة الكبرى، الحماقة التي لا يرتكبها إنسان يَسمع!

ويعقل قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: 10]

قيل لأحد الحكماء: مالك تُدمن إمساك العصا ولست بكبير ولا مريض، فقال: لأذكّر نفسي أني على سفر وقريبا سأنتقل إلى حياةٍ أخرى.

حملتُ العصا لا الضعف أوجب ولا أني تحنّيت على كِبَر
حملها ولكنني ألزمتُ نفسي حملها لأُعلمها أن المقيم على سفر

نحن على سفر: من ظهر الأب إلى بطن الأم، ومن بطن الأم إلى ظهر الأرض، ومن ظهر الأرض إلى بطن الأرض، ومن بطن الأرض إلى يوم العرض- اللهم ارحمنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، وارحمنا يوم العرض عليك يارب العالمين.

أيها الأحباب الكرام:

تأملوا مكانة الدنيا في القرآن، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾ [عبس:20-17]ثم السبيل يسره خرج إلى الدنيا كم سيلبث؟ كم مدة الدنيا؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾ لم تُذكر الدنيا لحقارتها وقصرها.

يذكر الله مراحل خلق الإنسان: نطفة، علقة، مضغة... إلى أن قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ كم سيلبث على هذه الدنيا؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ [المؤمنون: 16]

أيها المؤمن: الدنيا دار عمل وليست دار حساب، والآخرة دار حساب لا دار عمل.

الدنيا مزرعةٌ للآخرة؛ فالسعيدُ من زهَدَ في هذه الدار، وأشغلَ جوارِحَه بمُراقبة العزيز الغفَّار، وألزَمَ نفسَه الاتِّعاظَ والادِّكارَ، المُوفَّقُ في هذه الدنيا من تأهَّبَ لدار القرار، وكان على حذَرٍ من سخَطِ الجبَّار.

الدنيا عباد الله كماء البحر كلما ازددت منه شُربا ازددت عطشا، فيا عبد الله أنت خُلقت في الدنيا لتعبرها لا لتعمرها، فجِد في عمل الصالحات قبل هجوم هادم اللذات.

ها هو أبو حازم سلمة بن دينار أحد أسلافنا سأله سليمان بن عبد الملك الخليفة: يا أبا حازم ما بالنا نكره الموت؟ فقال: " **لأنكم عمّرتم دنياكم، و خرّبتم آخرتكم؛ فتكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب**".

إنـــما الـــدنيا فنـــاءُ لـــيس للـــدنيا ثُبـــوت
إنـــما الـــدنيا كبيـــتٍ نســـجته العنكبـــوت
كـــل مـــا فيهـــا لعمـــري عـــن قليـــلٍ ســـيفوت
ولقـــد يكفيـــك منهـــا أيهـــا العاقـــل قـــوت

عبد الله:

تأمل في الوجود بعين فكرٍ ... تر الدنيا الدنية كالخيالِ

ومن فيها جميعا سوف يفنى ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال

اللهم زهّدنا في الدنيا، ورغّبنا في الآخرة.

الحقيقة الثانية من حقائق الدنيا أنها مُزيّنة بالشهوات:

أيها المسلمون: لقد خَلَق الله الدنيا في صورة جميلة مَليحة، تستميل الناس بجمالها، وتَغرُّهم بزينتها، وتَخدعهم بشهواتها؛ امتحانًا وابتلاءً، قال تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: 7]

وقال الله -عز وجل-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝١٤﴾ [آل عمران: 14]

حُبِّبَتِ الشهوات للناس، وحُسِّنَتْ في أعينهم وقلوبهم؛ حتى صارَ حُبُّها غريزة أو فِطرة عندهم، ذَكَر الله - تعالى - أصنافًا ستة من المشتهيات والملذات، وسنذكر أهم ثلاث منها:

أولا: النساء: فإنَّ الرجل متعلِّق بالمرأة، مَيَّال إليها؛ وبدأ بالنساء؛ لأنَّ الفتنة بهنَّ أشدُّ؛ كما ثبتَ في الصحيح أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**»[أخرجه البخاري ح (5096)، ومسلم ح (2740)].

وما يئس الشيطان من أحدٍ إلا آتاه من قبل النساء، ولهذا لا تستغربوا دعوات أعداء الإسلام: تحرير المرأة، حقوق المرأة، مساواة المرأة بالرجل.

ثانياً البنون:

فهم فِلْذة الأكباد، وقُرَّة الأعين، لكنَّهم مع الأموال فتنة تتطلَّبُ الحَذر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾ [التغابن: 15]

وقد يكونوا عدو يصرفون عن الدين والخير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: 14]

وهم زينة ستتركهم حتما، ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف: 46]

ثالثاً القناطير المقنطرة من الذهب والفضة:

وحُب المال غريزة في البشر؛ لأنه وسيلة لتحقيق الحوائج وتلبية الرغبات، هل نسيتم ما وقع لعيسى بن مريم عليه السلام حين كان بصحبته رجل من اليهود وكان معهما ثلاثة أرغفة من الخبز، فأكل اليهودي أحدهما، وعيسى عليه السلام يصلي، ولما أرادا أن يتناولا طعامهما وجد عيسى أنهما رغيفان فقط، فسأل اليهودي: أين الرغيف الثالث، فأجاب: والله ما كانا إلا اثنين فقط. لم يعلق نبي الله وسارا معاً حتى أتيا رجلاً أعمى فوضع عيسى عليه السلام يده على عينيه

ودعا الله له فشفاه الله ﷻ ورد عليه بصرَه، فقال اليهودي متعجباً: سبحان الله! وهنا سأل عيسى صاحبه اليهودي مرة أخرى: بحق من شفى هذا الأعمى ورد عليه بصره أين الرغيف الثالث، فرد: والله ما كانا إلا اثنين. سارا ولم يعلق سيدنا عيسى على الموضوع حتى أتيا نهرا كبيرا، فقال اليهودي: كيف سنعبره؟ فقال له النبي -ﷺ-: قل باسم الله واتبعني، فسارا على الماء، فقال اليهودي متعجبا: سبحان الله! وهنا سأل عيسى صاحبه اليهودي مرة ثالثة: بحق من سيرنا على الماء أين الرغيف الثالث؟ فأجاب: والله ما كانا إلا اثنين. لم يعلق سيدنا عيسى وعند ما وصلا الضفة الأخرى جمع عليه السلام ثلاثة أكوام من التراب ثم دعا الله أن يحولها ذهباً، فتحولت إلى ذهب، فقال اليهودي متعجبا: سبحان الله لمن هذه الأكوام من الذهب؟؟! فقال عليه السلام: الأول لك، والثاني لي، وسكت قليلا، فقال اليهودي: والثالث؟؟ فقال عليه السلام: الثالث لمن أكل الرغيف الثالث!، فرد بسرعة: أنا الذي أكلته!! فقال سيدنا عيسى: هي كلها لك، ومضى تاركاً اليهودي غارقاً في لذة حب المال والدنيا، بعد أن جلس اليهودي منهمكا بالذهب لم يلبث إلا قليلا حتى جاءه ثلاثةُ فرسان، فلما رأوا الذهب ترجلوا، وقاموا بقتله شر قتلة. مسكين!! مات ولم يستمتع به إلا قليلا! بل دقائق معدودة!! سبحانك يا رب!! ما أحكمك وما أعدلك!! بعد أن حصل كل واحد منهم على كومة

من الذهب بدأ الشيطان يلعب برؤوسهم جميعاً، فدنا أحدهم من أحد صاحبيه قائلاً له: لم لا نأخذ أنا وأنت الأكوام الثلاثة ونزيد نصف كومة إضافية بدلاً من توزيعها على ثلاثة، فقال له صاحبه: فكرة رائعة!!! فنادوا الثالث وقالوا له: ممكن تشتري لنا طعاماً لنتغدى قبل أن ننطلق؟؟ فوافق هذا الثالث ومضى لشراء الطعام؟ وفي الطريق حدثته نفسه فقالت له: لم لا تتخلص منهما وتظفر بالمال كله وحدك؟؟ إنها حقا فكرة ممتازة!! فقام صاحبُنا بوضع السم في الطعام ليحصل على المال كله!! وهو لا يعلم كيد صاحبيه له!!، وعندما رجع استقبلاه بطعنات في جسده حتى مات، ثم أكلا الطعام المسموم فما لبثا أن لحقا بصاحبيهما وماتا وماتوا جميعاً، وعندما رجع نبي الله عيسى عليه السلام وجد أربعة جثث ملقاة على الأرض ووجد الذهب وحده، فقال: هكذا تفعل الدنيا بأهلها. ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [غافر: 39].

هي الدنيا تقول بِملء فِيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حُسن ابتسامي فقولي مضحكٌ والفعل مبكي

عباد الله: ليس المطلوب ترك الدنيا بتاتا فهذا مستحيل، إنما المطلوب الاعتدال في طلبها في المباح لا يصدك عن ذكر الله وطاعته، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ [المنافقون: 9]

وفي الحديث: عن رسول الله -ﷺ- قال: «**الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ذكرَ الله، وما والاه، وعالمًا ومُتعلِّمًا**" [رواه الترمذي، وقال: "حديثٌ حسنٌ"، وحسَّنه بعضُ المُحقِّقين من أهل العلم].

والله الذي لا إله إلا هو ما هربت من الدنيا واستخدمتها جسراً للآخرة إلا وجرت خلفك رغم أنفها، وما تبعتها ذليلا وطأطأت رأسك للصغير والكبير كي تأخذ ما لم يكتب لك ما زادتك إلا ذُلاً وفقرا.

كان هناك رجل بخيل، عنده مال؛ لكنه يبخل على نفسه وأهله، يعلم أولاده أن له مال لكنهم لا يعرفون مكانه، فمرض الأب مرض أوشك على الموت، فجاءه ولده الكبير، فقال له: أبتاه ستموت، أخبرني أين المال؟ فما أحس الأب بقرب الموت، وشدة المرض أخبره بمكانه، وما أن سمع الابن الأكبر مكان المال حتى انطلق وغيّر مكانه، وشاء الله أن يتعافى الأب، ويمرض الابن الأكبر مرض الموت، فجاءه الأب وقال: بُني أين المال؟ ستموت أين وضعت المال؟ فمات الابن ولم يعرفوا مكانه.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون: 10]

أيها المسلمون: المال نعمة وخيرًا وسببًا للسعادة والتقرُّب إلى الله، ودخول الجنة؛ إذا أدَّى المسلم فيه حقوقَ الله والناس، وشَكَر النعمة، ووصَلَ به الرحم، وأنفَق منه في سبيل اللهّ.

عبد الله: اليوم أنت تُعطي وغداً تأخذ، وما أعطيته في الدنيا ستجده أمامك، هي ودائع: هذا يودعها في البنوك، وهذا يودعها عند ملك الملوك، فمن أودعها في البنوك لن يراها اذا غُيّب في اللحد، ومن أودعها عند ملك الملوك لا تُرد له كما أودعها، بل تُرد له مضاعفة من الكريم سبحانه، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة: 245]

فيا عبد الله: أكثر من الإيداع في بنك ملك الملوك، أودع الله ركعات في السحر، أودع الله صدقات، أودع الله أعمال صالحات، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة: 110]

تَخَفَّفْ من الدنيا لعلكَ أن تنجو ... ففي البِرِّ والتقوى لكَ المسلكُ النهجُ

يا جامع المال في الدنيا لوارثه ... هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: أطول الأنبياء عمرا نوح عليه السلام تعمّر ألف سنة وأكثر، سُئل كيف وجدت الدنيا؟ فقال: «**كدار له بابان دخلت من الأول وخرجت من الآخر**.

مهما تمتع الإنسان بشهوات الدنيا وملذاتها ونزواتها هذا كله يُنسى في أول ليلة في القبر، تلك الليلة التي ينتقل فيها الإنسان من الفراش الوثير إلى ظلمة القبر، تلك الليلة التي تنتهي فيها الرُّتب والمناصب والأصحاب.

تـالله لـو عـاش الفتـى في دهـره ... ألفـاً مـن الأعـوام مالـك أمـره
مسـتمتعا فيهـا بكـل نفيسـةٍ ... متلـذذا فيهـا بنُعمـى عصرـه
لا يعتريـه السـقم فيهـا مـرة ... كـلا ولا تـرد الهمـوم ببالـه
مـا كـان هـذا كلـه في أن يفـي ... بمبيـت أول ليلـةٍ في قـبره

اللهم اجعل قبورنا روضة من رياض الجنة.

أخي الحبيب: هل زرت المقابر، هل تُفرّق فيها بين غني وفقير، هل تُفرّق بين عزيز وذليل؟

أتيـــــتُ القبـــــورَ فناديتهـــــا ... فـــــأينَ المُعَظَّـــــمُ والمُحتقَـــــر؟
أيـــــنَ المُـــــذِلُّ بســـــلطانه ... وأيـــن المُـــذَكَّى إذا مـــا افتخـــر؟
! تفـــانوا جميعـــاً فـــما مُخـــبرٌ ... ومـــاتوا جميعـــاً ومـــات الخـــبر
تـــروحُ وتغـــدو بُنَـــاتُ الثّـــرى ... فتمحـــوا محاســـنَ تلـــكَ الصـــور!
فيـــا ســـائلي عـــن أُنـــاسٍ مضـــوا ... أمـــا لـــكَ فـــيما مضى مُعتَـــبر؟

عباد الله:

إن الكَيِّسَ والذكي واللبيب هو الذي عرف حقيقة الدنيا، وآثر الآخرة على دُنياه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر: 5]

أيها الإخوة!:

هذه هي الدنيا، شباب ونضرة، ثم شيخوخة وهرم، قصور بعدها قبور، ونور بعده ظلام، وأُنس بعده وحشة، وسعة في المنازل بعدها ضيق في القبور، ونعيم وطعام وشراب ولباس ولكن تنتهي أيام هذه الحياة، يقول الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾ [الشعراء: 205-207].

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الحياة كما شاهدتها دولٌ من سره زمنٌ ساءته أزمان
وهذه الدار لا تُبقي على أحدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شان
أين الملوك ذوي التيجان من أرمٍ وأين ما ساسه في الفرس ساسان
أين أولئك جميعاً؟
أتى على الكل أمرٌ لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

ويقول أحد الصالحين: **"لو كانت الدنيا ذهبًا يفنى والآخرة خزفًا يبقى لآثر العاقل خزفًا يبقى على ذهب يفنى فكيف والدنيا أقل من خزف والآخرة أكثر من ذهب"**، يقول الله ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ـ أي الدنيا ـ ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: 19]

ودونك يا من أحببت الدنيا وزينتها، وركنت إليها، وقاتلت من أجلها، واهتممت بالمناصب، والكراسي والرياسة،: إليك هذا الحديث الذي يرويه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، -أنعم أهل الدنيا، أكثر الناس راحة، أكثر الناس سعادة، أقل الناس هموما، أقل الناس تعبا- فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا والله يا رب**».

عباد الله: حديثنا عن الدنيا لم ينته بعد ولنا لقاء إذا كان في العمر بقية إن شاء الله.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللهَّ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾. [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الدنيا وحقيقتها (3)

الحمد لله العزيز الوهاب، الغفور التواب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، إمام الأنبياء وسيد الحنفاء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين آمنوا وهُدوا إلى الطيب من القول، وهدوا إلى صراط الحميد.

أما بعد: فأوصيكم ـ أيها الناس ـ ونفسي بتقوى الله سبحانه القائل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال: 29]

عباد الله: هذا هو اللقاء الثالث مع الدنيا وحقيقتها، مع الدنيا وفتنتها، مع الدنيا وسحرها.

مع التي تُلهِي الإنسان وتشغَله عن طاعة الله – تعالى – مع التي تضرُّ بدين المسلم كضرر الذئب الضاري على الغنم، مع التي تؤدِّي إلى الفتن وإراقة الدماء، مع الدنيا الفانية، التي قال – الله تعالى – عنها: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 64].

مع الدنيا التي قال عنها نبينا الكريم -ﷺ- يومًا لأصحابه: «فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، ولكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[متفقٌ عَلَيْهِ].

عبد الله: اعلم أن الدُّنْيَا خُلِقَت لِتَجُوزَهَا لا لِتَحُوزَهَا، ولِتَعْبُرَها لا لِتَعْمُرها، بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ، وعَزِيزُهَا ذَلِيل وغَنِّيها فَقِير، حَيُّهَا يَمُوت وودُّها يفوت، الدنيا قصة قصيرة! من تراب، على تراب، إلى تراب، ثم حساب، فثوابٌ أو عقاب.

عباد الله: قد استولى حبُّ الدنيا على القلوب فآثرتها على الآخرة، فبعض الناس شغلته الدنيا عن الصلاة، وإذا صلى فربما لا يصليها مع الجماعة، أو ربما يؤخرها عن وقتها، وحتى في أثناء صلاته تجد قلبه منصرفًا عن صلاته إلى الدنيا؛ يفكِّر فيها، ويعدُّ أمواله، ويتفقَّد حساباته.

ومن الناس من هو شغوفٌ بها، يجمع حطامها، ويلهث ورائها، فالمهم عنده أن أعيش.. أُؤمن مستقبلي كما يقولون، يجمع المال، ليس المهم أمن حرام كان أم حلال، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا زائل، لا بأس أن يكذب، أن يتملق. وصدق النبي المصطفى حين قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض الدنيا» [أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (1/ 110) رقم (118).].

وأخرج مسلم عن المستور بن شداد- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه، وأشار -بالسبابة- في اليم فلينظر بم يرجع**». هذا مثل الدنيا بالنسبة للآخرة.

جرّب وتدبّر، أدخل أصبعك في البحر مرة، وانظر بم يرجع، إنها قطرات معدودة تعلق به سرعان ما تتوارى وتضمحل.

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[رواه الترمذي رقم (2321) في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، وابن ماجة رقم (2410) في الزهد، باب مثل الدنيا، وهو في صحيح الجامع رقم (5292)].

تعرفون البعوض!! الدنيا لا تساوي جناح البعوض -يا الله ما أحقرها من دنيا.

أعلى الكريم: ماذا ستقول، لو مررت برجل يُقبّل نقوده ويتمسح بها، أي دهشة ستحتويك، وأي استغراب سيملئ فؤادك وأنت تراه يسجد لها ويعظمها، ما ستقول عنه، بل ماذا سيقول عنه الناس، مجنون مهووس، هذا الأمر لم نره حسًا ملموسًا، وواقعًا مشاهدًا.. ولكننا نرى في كل يوم، بل في كل لحظة، صورة طبق الأصل لذلكم المشهد، نراه في شوارعنا وأسواقنا، فيمن يقدمون الدنيا وشهواتها على الصلاة. فيمن يقدمون مجالس القيل والقال والكلام عن الدنيا وشهواتها على مجالس الذكر والطاعة. يقدّمون النوم على صلاة الفجر.

اسمع ما قال عنهم الحبيب فيما.. أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**تعس عبد الدينار، والدرهم، تعس عبد القطيفة، والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط**».

امرأة مرت على محل يبيع الذهب فدخلت ونظرت، ونظر إليها صاحب المحل- اللهم احفظ نساءنا ونساء المسلمين -اشترت من صاحب المحل، لكن ما زالت النظرات تتوالى، وأصبحت زبونة للمحل، وفي مرة من المرات روادها عن نفسها فامتنعت، ثم عادت بعد مدة وروادها مرة أخرى، فأشارت إلى عقدٍ كبير غالي، قالت: أريد هذا مقابل ما تريد. فقال: هذا كثير لا.

وهكذا كل ما روادها تشير إلى العقد؛ فاذا به بعد مدة يوافق ويعطيها العقد وينال مراده منها ويزني بها ويقضي شهوته- اللهم انتقم من الظالمين - الشاهد أنها نالت العقد وفرحت بذلك فرحا شديدا؛ لأنه غالي جدا.

ثم ظل يراودها الثعلب لكنها رفضت وقالت: " قد حصلت على مطلوبي وهو العقد" فقال لها: " إن العقد مزيف"؛ فجن جنونها، وأخذت العقد إلى أصحاب الذهب، فقالوا لها: مزيف فحملت سكيناً، وانطلقت إلى صاحب المحل وقتلته، ثم حاولت أن تقتل نفسها، إنها الدنيا تفعل بأصحابها، ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[آل عمران: 185]

كم هي حسرة المرأة حين فرطت بشرفها على عقدٍ مزيف، ولذا لا تستغربوا حين طعنته (39) طعنة.

عبد الله: يوم القيامة حين تجد أن كل ما حصلت عليه في الدنيا: مال، منصب، أرض، بيت مزيف، حتى الأعمال التي لم تكن لله تكون مزيفة: ﴿وقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: 23]

وحين فرحت المرأة بالعقد تذكّرنا قوله تعالى: ﴿وفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ومَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: 26]

أيها الفرح بالمال تجمعه إنه مزيف، أيها السعيد الفرح بسيارة اقتنيتها إنها مزيفة.

أيها الفرح ببيتٍ اشتريته إنه مزيف، أيها الفرح بمنصبٍ أو جاه، إنه مزيّف، الدنيا كلها مزيّفة الحقيقة هناك في الآخرة.

الأعمال الصالحة هي الحقيقة والباقية، ذكر الله الصدقات، الطاعات هي الحقيقة والباقية. ﴿الْمَالُ والْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: 46].

قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه -: «ما كانت الدنيا هم أحد قط إلا لزم قلبه أربع خصال: فقرٌ لا يدرك غناه، وهمٌّ لا ينقضي مداه، وشغلٌ لا ينفد أولاه، وأملٌ لا يبلغ منتهاه.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث - رضي الله عنه -، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدّر له ».

عباد الله: أما الحقيقة الثالثة للدنيا وهي: أنها دار ابتلاء واختبار:

نعم الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن لشقاء قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عُقبى.

فلا تغرنكم الحياة الدنيا؛ فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال.

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى﴾ [الأعلى: 17]

نعم قال أحد الصالحين: احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت. هما يُفرقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرّق بين العبد وربه، فالكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والحازم من بادر بالعمل قبل حلول الأجل.

الأصل في الدنيا أنها دار ابتلاء، وأمراض، وأحزان وفقر وقهر.

قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: 2]

أخي إن فهمت حقيقة الدنيا تستقبل متاعبها بالرضا، تستقبل مصائبها بالصبر، فهي لا تستحق الحزن والقلق والنكد عليها.

إليك يا من تعب في الدنيا وعانى من ويلاتها وفقرها وحزنها وشرور أهلها وهو صابر محتسب مؤمن،: إليك هذا الحديث الذي يرويه أبو هريرة- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، _ يعني أكثر الناس تعبا ومرض وفقرا ومعاناة_ فيصبغ في الجنة، _ يغمس غمسة فقط في الجنة _فيقال له: يا بن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط** ». [رواه مسلم]

هذه هي الدنيا التي نتهاوش عليها تهاوش الذئاب ونتهافت عليها تهافت الذباب ليس لها عند الله قيمة لو كان لها عند الله قيمة لما ترك أنبيائه وأوليائه يعذبون فيها ويعانون البلاء بعد البلاء قال أبو الفرج بن الجوزي -رحمه الله-: « الدنيا دار ابتلاء.....، فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى

حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى بن مريم لا مأوى له، إلا البراري في العيش الضنك، ومحمد -ﷺ- وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقُتل عمه حمزة، وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه.... »

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المؤمنون: لو كانت الدنيا طيبة ما جاع فيها وتعب خير الخلق وعلى رأسهم محمد -ﷺ-

أخي الحبيب: هل فقدت أحد والديك؟ رسول الله نشاء يتيم الأب والأم.

هل فقدت أحد أولادك؟ رسول الله توفي كل أولاده في حياته باستثناء السيدة فاطمة توفيت بعده بأشهر قليلة.

هل اتهمت في عرضك؟ رسول الله -ﷺ- اتهم في عرض زوجته عائشة -رضي الله عنها- وبراءها الله من فوق سبع سماوات.

هل أنت مديون؟ رسول الله مات ودرعه مرهون عند يهودي.

هل ضاق بك الحال فلا تملك قوت يومك؟ بيت رسول الله -ﷺ- تمر عليه شهور ولا يوقد فيه نار!!

هل تطلقت احدى قريباتك؟ رسول الله -ﷺ- تطلقت ابنتيه!!

هل تغربت من بلدك مختارا أو مجبورا؟ رسول الله طرده قومه!!

هل تعرضت لمحاولة قتل متعمدة؟ رسول الله -ﷺ-تعرض لها مرات ومرات من اليهود والمشركين!!

هل تعرضت لإهانة من أحد؟ رسول الله -ﷺ-شتمه قومه ووضعوا فوقه سلا الجزور.

هذه هي الدنيا ومع هذا كله كان رسول الله -ﷺ- صابرا، راضيا، سعيدا متفائلا لأنه وجد راحته في طاعة ربه.

فيا أيها الأحباب:

الدنيا متاع الغرور، والحياة الصحيحة الكاملة هناك في الجنة حين ينادى: « **يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبد وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا*وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا**».

دخل ابن السماك الزاهد العابد على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين هارون الرشيد فقال له هارون عظني يا ابن السماك فقال له يا أمير المؤمنين هب أنك تسير في صحراء فنفذ ما معك من الزاد والماء، فاشتد بك الظمأ حتى احترق جوفك فظللت تبحث عن الماء، فلم تجد ماء، فجاء لك رجل بكأسٍ من الماء، وقال لك: يا أمير المؤمنين أستطيع أن أسقيك من هذا الكأس على أن تعطيني نصف ملكك فماذا تفعل؟ قال أعطيه نصف ملكي، قال: " هب أنك بعد أن شربت هذا الماء احتبس في جوفك فظل يؤرقك ويتعبك تريد أن تبول فلا تستطيع فجاء لك رجل فقال أنا أستطيع أن أخرج البول منك على أن تعطيني نصف ملكك الآخر فماذا تفعل؟ قال: أعطيه، قال: فانظر يا أمير المؤمنين إلى هذا الملك الطويل العريض لا يساوي شربة وبولة.

إنها الدنيا؛ عندما خرج قارون في زينته، فُتن عُبّاد المادة وعُشّاق الحياة الدنيا بما عنده من المال والزينة، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 79].

أيها الأحباب:

كلنا أو معظمنا سمع عن عجائب الدنيا السبع التي منها أهرامات مصر وسور الصين العظيم، وسد مارب في اليمن لكن أول مرة نسمع عن لذات الدنيا الثمانية وشاء الله أن يخرج لذائذ الدنيا من خسائسها.

إن جميع لذات الدنيا ثمانية وهي:

مأكول، مشروب، ومنكوح، وملبوس، ومسكون، ومشموم، ومسموع، ومنظور كما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس كالحزين: «يا عمار إن كان تنفسك على الآخرة، فقد ربحت تجارتك، وإن كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك، فإني وجدت لذاتها خرجت من خسائسها:

فأما المأكولات: فأفضلها العسل وهو صُنع ذباب أي مخروج النحل، **والمشروبات**: أفضلها الماء وهو أهون موجود وأعز مفقود ويشترك فيه الحيوان والإنسان.

وأما المنكوحات: حسبُك أن المرأة تُزيّن أحسن شيء منها ويُراد أقبح شيء فيها. وأما **الملبوسات**: فأفضلها الحرير وهو نسج دودة القز.

والمشمومات: فأفضلها المسك وهو شيء يخرج من الغزال حال حياته، **والمسموعات**: فريح هابّة في الهواء، **والمبصرات**: فخيالات صائرة إلى الفناء».. لا إله إلا الله ما أحقر الدنيا:

إن لله عبادا فطنـــــا تركوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحـي وطـنا

جعلوها لُجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

أيها المسلمون: لا يظن أحد أننا عندما نتكلم عن الدنيا والزهد فيها أن الإسلام يدعو إلى ترك الدنيا والجلوس في المساجد للعبادة والصلاة فقط فلا رهبانية في الإسلام وإسلامنا لا يستقيم عموده بدعاء شيخٍ في زوايا المسجدِ، اسلامنا نورٌ ونارٌ على من يعتدي، اسلامنا عملٌ وجهادٌ وعمرانٌ للأرض شعارنا قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [المُلك: 15].

فلننطلق في الدنيا ونجعلها مزرعة للآخرة لا أن تحل في قلوبنا.

ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: « **الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاح لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا منها الرحمة، واحتسبوا فيها الجنة** ».

قال تعالى: ﴿ **وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا** ﴾ [القصص: 77].

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: 56].

حجة الوداع دروس وعبر

الحمد لله الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الذي يُمهل ولا يُهمل، الحكَم العدل، لا مُعقّب لحكمه، ولا رادَّ لفضله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

سبحان من يعفو وينهفو دائمًا ولا يزل مهما هفا العبد عفا

يُعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا لذي الخَطَا

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير بشر وطئت الثرى قدمه، ونطق بالحق فمه، وجرى في عرقٍ دمه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن، واعلموا أن من اتقى الله وقاه وحفظه وكفاه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: 29]

يارب اكتب لنا الخير في هذه الجمعة.

يارب إن لك عباداً ينتظرون فرجا قريب فبشرهم يا الله.

يارب إن لك عباداً يسألونك شفاء فشافهم يا الله.

إن لك عباداً يرجون رحمتك فارحمهم يا الله.

عباد الله: إن المتأمل في تاريخ المسلمين منذ قيام دولة الإسلام وإرساء تعاليم الملة السمحة على يد الحبيب محمد رسول الله ﷺ والمتأمل في أحوالِهم في العصور المتأخرة اليوم يُصاب بالدهشة والذهول ويرجع على نفسه بالحسرة، فبينما كان المسلمون فيما مضى أمةً ظاهرة وقوةً قاهرة حكمت الشرق والغرب والشمال والجنوب وإذ بأحوالهم في عصورهم المتأخرة في حالة مخزية من الضعف والجبن والخور وتحكَّمَ بهم الأعداء في شتى المجالات.

عباد الله: من أسباب ضعف المسلمون اليوم تخلفهم عن أمر الله ورسوله، وتفرقهم شيَعاً وأحزاباً فسلّط الله عليهم الأعداء فتحكموا في أوطانهم وسلبوا أموالهم وانتهكوا أعراضهم.

وما أحوج المسلمون في أيام محنهم وشدائدهم وهم تعصف بهم النكبات ويتحكم فيهم اليهود والنصارى إلى دروسٍ وعظات من تاريخهم الأصيل يتأملون من خلالها سمات النصر والهزيمة وعوامل الضعف والقوة. ما أحوجنا إلى وقفات عند المناسبات نستلهم العبر والدروس.

ما أجدر المسلمين عامة واليمنيين خاصة اليوم وقد فرّقتهم الدنيا وتقاطعوا وهم إخوان أن تثور في نفوسهم دعوة التوحيد وأُخوة الإيمان ليتراحموا

ويتواصلوا فيما بينهم ويكونوا كالجسد الواحد ضد أعدائهم، تلك الأسلحة التي يوجهها المسلمون إلى بعضهم هنا وهناك لماذا لا توجه إلى اليهود الذين يدنسون المسجد الأقصى ويعيثون في أرض الإسراء الفساد.

ومن المواقف البارزة في تاريخ المسلمين خُطبة الوداع في حجّة الوداع، تلك الخطبة العظيمة التي وجهها النبي -ﷺ- إلى أمته في العام العاشر من هجرته وجهها وهو يودع الأمة ويُرسي قواعد الملة، ويهدم مبادئ الجاهلية بعد أن كُمل الدين وتمَّت النعمة ورضي الله الإسلام للأمة دينا فلا يقبل من أحدٍ ديناً سواه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [المائدة:3] وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85]

اللهم أحيينا على الإسلام وأمتنا عليه يارب العالمين.

تلك الخطبة العظيمة التي وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون بالدموع، خطبة جامعة مانعة، خاطب بها صحابته والأجيال من بعدهم، بل خاطب البشرية عامة، بعد أن أدى الأمانة وبلَّغ الرسالة ونصح للأمة في أمر دينها ودنياها.

ما أروعها من ساعة تلك التي اجتمع فيها من أرسله الله رحمةً للعالمين مع ثمرة جهاده ودعوته طيلة(23) عام تلك الجموع المؤلفة من(120) ألف أو

يزيدون خاشعين متضرعين! وكلهم آذان مصغية لكلمات الوداع وكلمات من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: 4]

كلمات تجد صداها عند كل من يستمع لها؛ لأنها تخرج من القلب إلى القلب.

لقد أنصتتِ الدنيا بأسرها -بلسان حالها ومقالها- لتسمع كلام أصدق القائلين -ﷺ- وهو يقول: « **أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا** » وهي رسالة بقُرب وفاة الحبيب -ﷺ-.

لقد أنصتت الدنيا بأسرها -بلسان حالها ومقالها- لتسمع قوله -ﷺ- وهو يُلخص لأمته -بل للبشرية جمعاء- مبادئ الرحمة والإنسانية، ويرسي لها دعائم السلم والسلام، ويقيم فيها أواصر المحبة والأخوة والوئام، ويغرس بأرضها روح التراحم والتعاون؛ وكأنه -ﷺ- كان يعلم -بما أطلعه الله ﷻ عليه- أنه سيأتي على الناس حين من الدهر يودِّعون فيه هذه المبادئ، ويقتل بعضهم بعضا، وتسود معايير القوة والظلم.

هذه الخطبة حوت كل تعاليم الإسلام ومبادئه ومقاصده في كلمات جامعه، واستشهد أصحابه على البلاغ وقال لهم في آخر الخطبة: «**ألا هل بلّغت ألا هل بلّغت؟** » قالوا بلى، فشهدوا بذلك، فقال: «**اللهم فاشهد**»، ونحن نشهد كما شهدوا لقد بلّغ رسول الله ﷺ وأدى ونصح فجزاه الله عنا كل خير.

المادة الأولى: لقد أكّد النبي ﷺ في خُطبة الوداع أن دين الإسلام هو دين التوحيد والعقيدة وما الحج في الإسلام إلا أمارة وحكمة تدعوا إلى التوحيد لله في أسمى صوره وأجل معانيه فاجتماع الناس كلهم في الحج مع اختلاف أجناسهم وتباين ألوانهم ولغاتهم يغرس في نفوسهم أنهم عبيد لإلهٍ واحد إله لا ينظر إلى الصور والأجناس وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[أخرجه مسلم في البر (2564)]..

المادة الثانية: بعنوان المساواة:

قال -ﷺ-: «**أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربي على أعجمي فضل إلاّ بالتقوى**».

إنّ الإسلام هو دين العدالة والمساواة وحقوق الإنسان، أخرج الإمام مالكٌ من طريق سعيد بن المسيِّب: أنَّ عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ اختصم إليه مسلمٌ، ويهوديٌّ، فرأى عمر: أنَّ الحقَّ لليهوديِّ، فقضى له، فقال له اليهوديُّ: والله لقد قضيت بالحقِّ!

إنَّ النَّاس جميعاً في نظر الإسلام سواسيةٌ، الحاكم والمحكوم، الرِّجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، فلقد ألغى الإسلام الفوارق بين النَّاس بسبب الجنس، واللَّون، أو النَّسب، أو الطَّبقة، والحكام والمحكومون كلُّهم في نظر الشَّرع سواءٌ، فعن ابن عباسٍ: أنَّه قال: قدم عمر

بن الخطَّاب حاجّاً، فصنع له صفوان بن أميَّة طعاماً، فجاؤوا بجفنةٍ يحملها أربعةٌ، فوضعت بين يدي القوم يأكلون، وقام الخدَّام، فقال عمر: أترغبونه عنهم؟ فقال سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين! ولكنَّا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضباً شديداً، ثمَّ قال: ما لقوم يستأثرون على خدَّامهم، فعل الله بهم وفعل! ثمَّ قال للخدَّام: اجلسوا، فكلوا، فقعد الخدَّام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين[1].

هكذا الإسلام وعدل الإسلام ومساواة الإسلام.

المادة الثالثة: لقد بيّن النبي -ﷺ- في خطبته حُرمة الدماء والأموال، ووضّح لنا أن هذه الحرمة تساوي حُرمة اليوم والشهر والبلد؛ فالبلد مكة، والشهر ذي الحجة، واليوم يوم عرفة وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا....**».

فأين أمة الإسلام اليوم من تطبيق هذا المبدأ؟ وقد أخذ بعضها برقاب بعض، وتسلّط القوي فيها على الضعيف، بهذا التوجيه النبوي أسّس الرسول -ﷺ- لمجتمعٍ حضاري مستقر تسوده الأُلفة، وتُرعى فيه الحرمة، ويأخذ فيه كل ذي حقٍّ حقه، وتقوم فيه العلاقة بين أفراده على التعاون والتراحم فلا يحل

(1) ابن سعد: الطبقات ٢٨٦/٣، وإسناده صحيح، ابن الجوزي: مناقب ص ٩٧.

لأمرئٍ أن يعتدي على أخيه بأي شكل من الأشكال كما بين النبي -ﷺ- بقول: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[أخرجه مسلم (4/ 1986-ح2564)، وأبو داود (4/ 270-ح4882)، والترمذي (4/ 287-ح1927)وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (2/ 1298-ح3933)، وأحمد (2/ 277)].

أيها الأحباب:

لو تدبر الناس هذا الكلام لما تعدّى أحد على أحد، ولما سُفكت الدماء، ولما خُطفت الأموال أوسُرقت أو أُغتصبت، ولعاش الناس عيشةً هنية في الدنيا قبل الآخرة.

عباد الله: ومن وصايا الحبيب المصطفى في هذه الخطبة العصماء التحذير من الظلم؛ فالظلم كارثة إنسانية، الظلم ظلمات يوم القيامة، الظلم مهلك للأمم في الدنيا مهما كانت قوية، قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: 11]

فعندما يظلم بعضنا بعضا ويقتل بعضنا بعضا، ويؤذي بعضنا بعضا يسلّط الله علينا من هو أظلم منا.

وما من ظالمٍ إلا سيُبلى بأظلم.

إذا خَانَ الأميرُ وكاتباهُ *** وقاضِي الأَرْضِ داهَنَ في القَضاءِ

فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ *** لِقاضِي الأَرْضِ منْ قَاضِي السَّماءِ

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: 59]

عباد الله: إنّ نهب الأموال بأي صورة من الصور حرام، هو حرام مهما تغيرت المسميات وجُمّلت، سيظل الظلم ظلمًا، وسيبقى الحرام حرامًا، وصدق ابن تيمية -رحمه الله- حين قال: «**الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة**»[1].

ومن مبادئ خُطبة الوداع قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، دماء الجاهلية موضوعة... وربا الجاهلية موضوع...**»

وهذا نص واضح، وتصريح صارخ أن كل ما كان عليه أمر الجاهلية قد بَطَل، ولم يبقَ له أي اعتبار، بل هو جيفة منتنة، لا يمكن أن ينهض بأمة.

وأكَّد ﷺ في خطبته على تحريمِ صورٍ من المعاملاتِ الجاهليةِ وأهمها الربا الذي هو أسوأ ما تعاملت به الإنسانية في شؤونها المالية فكم خرَّب من بيوت عامرة وكم دمَّر من قرى قائمة وكم جلب من محن وبلايا، ومن أجل ذلك فقد أعلن الله حربه على المرابين الذين يصرون على أكل الربا فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة: 279]

(1) مجموع الفتاوى(340/6).

وبيّن النبي ﷺ خطورة التعامل بالربا فعن أنس رضي الله عنه قال: قال -ﷺ-: « **إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية**» [رواه أحمد (5/ 225)، صححه الألباني إسناده في المشكاة (2/ 859)]. يا لها من جريمة عظيمة فظيعة تصك الآذان، وتقشعر منها الجلود والأبدان هذا في حق من تعامل بأيسر أنواع الربا فكيف بمن تعامل بها كلها!!!.

ومن وصايا الحبيب المصطفى في خُطبة الوداع الوَحْدة والمساواة بين المسلمين وصية في غاية الأهمية وتأتي مباشرة في الأهمية بعد الاعتصام بكتاب الله، وسنة نبيه، ومع كثرة التوصيات بالوحدة في كل حياة رسول الله -ﷺ-، إلا أنه كان لا بد من إعادة التوصية في الأيام الأخيرة، وإعادة التركيز عليها والتذكير بها.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها الأحباب:

إن الأمة المتفرقة لا تقوم أبدًا، لا ينزل نصر الله عزوجل على الشراذم، يقول -ﷺ- في خطبة في حجة الوداع: «تَعْلَمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ أُخْوَةٌ».

أكّد الحبيب المصطفى على الأخوة وحرص عليها رسول الله -ﷺ- من أول أيام الدعوة، في فترة مكة، وفي فترة المدينة، واذكروا عتق العبيد في مكة، واذكروا المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، واذكروا الميثاق بين الأوس والخزرج، لقد كانت علاقة مُمَيِّزة فعلاً للدولة الإسلامية أن الجميع فيها أُخْوة؛ الحاكم أخو المحكوم، والقائد أخو الجندي، والكبير أخو الصغير، والعالم أخو المتعلم، إنها أخوة حقيقية بلغت إلى حد الميراث في أوائل فترة المدينة، ثم نُسخ الحكم وبقيت الأخوة في الدين. ثم إنه التأكيد على معنى آخر من معاني الأخوة كان واضحًا في خطبة الوداع، وهو أن هذه الأخوة ليست خاصة بعرق معين، أو نسب معين، أو عنصر معين، أو قبيلة، أو دولة، أو طائفة؛ إنها المساواة بين المسلمين جميعًا من كل الأصول.

قال رسول الله -ﷺ-: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».

الله أكبر! هل في العالم مثل ذلك؟!

ويأتي التركيز في ثنايا خطبته على قضية المرأة وكأنها هي القضية المهمة في كل عصر وأمة فلقد منيت المرأة عبر التاريخ بفئتين ظالمتين بخستها حقها وداست كرامتها: أما الفئة الأولى فهي الجاهلية الأولى التي جعلت المرأة وسيلة للكسب والتجارة تباع وتشترى وتوهب وتكترى وتوأد وتسبى دون أن يكون لها رأي أو حق أو نصيب وأما الفئة الثانية فهي المدنية المعاصرة التي جعلت المرأة مستنقعاً للشهوات ووكراً للرذيلة تهان فيه كرامتها وتقتل عفتها بدعوى التطور والمدنية وإعطائها حريتها كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً فاستوصى ﷺ بالنساء خيراً وأكد على حقهن الذي جاء به الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: 228].

لقد صان الإسلام المرأة وجعلها مربيةَ الأجيال وصانعةَ الأبطال فأوصى بهن خيراً لأنهن أسيرات عند الرجال فمن حقهن على الرجال أن يعتنوا بهن ويحموهن من مزالق الفتن ويربونهن على الفضيلة والحشمة والحياء والعفاف المتمثل في الحجاب والقرار في البيوت والبعد عن مزاحمة الرجال.

ولقد بيّن النبي -ﷺ- مالهن وما عليهن من الحقوق بما يتلاءم مع وظيفتهن وفطرتهن فلهن الإكرام والاحترام والمعاشرة بالمعروف والنفقة اللازمة دون إسراف ولا تقتير وعليهن السمع والطاعة وتهيئة المناخ الأسري في البيت ليجد الرجل سكنه النفسي وراحة البال على الأولاد والأعراض والأموال فتحفظه في شرفه ماله وأولاده وتراعي شعوره فلا تدخل بيته أحداً إلا بإذنه ولو كان محرماً فإن حصل منها النشوز والعصيان والانحراف فلا بد وقتها من التأديب بالتدريج.. التأديب الذي ليس فيه إهانة ولا إذلال إنما هو تأديب بكل ما في الكلمة من معنى التأديب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34]

وفي ختام خطبته -ﷺ- أكد على ما فيه عصمتنا من الضلال والانحراف فقال: « وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ» صدقت يا رسول الله، لقد ضمنتَ لأمتك الأمان من كل شقاء وضلال إذا هي تمسكت بهدي هذا الكتاب. وهل وصلت أمة الإسلام إلى ما وصلت إليه إلا بهجر كتاب ربها وترك منهج نبيها؟! ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلها.

أجل أيها المسلمون كتاب الله النور المبين والحبل المتين والذكر الحكيم وقد بيَّنه -ﷺ- لأمته غاية البيان وأمرها بالتمسك به وبسنته فعند الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه قال -ﷺ-: « **إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض** »، فلنعتصم بهما ولنعلم يقينا أن الأمة لا تزال بخير ما استمسكت بهما واعتصمت بحبلهما وعملت بشريعتهما ولا يحيد عن الكتاب والسنة إلا هالك ضال.

كم هي البشرية اليوم بحاجة ماسَّة -بعد أن وصلت إلى ما وصلت إليه- إلى مراجعة نفسها وتدارك أمرها والاهتداء بهدي من أرسله الله رحمة للعالمين ﷺ! فهل تفيء البشرية إلى رشدها أم تبقى في غيِّها لا تلوي على أحد، ولا تُقيم وزنًا لدين أو خلق؟!

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

وصايا في رمضان

الحمد لله عظيم الشأن قديم الإحسان خصّنا بشهر الصيام ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: 185]، وأشهد أن لا إله إلا الله من دعاه أجابه، ومن سأله أعطاه ومن توكل عليه كفاه.

يارب يارب اليوم يوم جمعة، الشهر شهر رمضان يارب كما بلغتنا إياه فأعنا فيه على الصيام والقيام.

اللهم يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعّالٌ لما يريد أسالك بنور وجهك الذي ملاء أركان عرشك المجيد أن تعتق رقابنا من النار، ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا، ومن أحبنا فيك، وأحببناه فيك. اللهم اجعل هذا الشهر شهر نصر وعز وفرج لعبادك المؤمنين في كل مكان يا جواد يا كريم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

عباد الله: اتقوا الله حقيقة التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن أجسادنا على النار لا تقوى، وأكثروا من ذكر الموت والبلى وقرب المصير إلى الله جل وعلا.

عباد الله: ها هو رمضان قد أقبل شهر الجود والإحسان، شهر العتق من النيران، شهر النفحات والنسمات، شهرٌ تُفتح فيه أبواب الجنان وتُغلق أبواب النيران، شهر تتزين فيه الجنة لعباد الله الصائمين القائمين.

والله والله لو أدركنا قيمة رمضان ما ضيّعنا لحظة من لحظاته.

عباد الله:

من لم يُغفر له في رمضان متى يُغفر له؟

من لم يُعتق من النار في رمضان متى يُعتق؟

من لم يتوب في رمضان متى يتوب؟

هل يتوب عند نزول الغمرات والسكرات حين يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: 24] ويقول: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ١٠٠﴾ [المؤمنون: 100]

هل يتوب عندما يلف بذلك الكفن.

أخي: انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القُطن والكفن

أخي الحبيب:

هل أحسست يوماً أن الأرض قد ضاقت عليك بما رحُبت وضاقت عليك نفسك وزاد عليك الهم والحزن فلم تدر أين المفر؟

هل ساءت علاقتك بمن حولك من أقاربك وأصحابك وأهلك؟

هل تشعر بعدم البركة في حياتك أو ملك أو وقتك؟

هذه بعض آثار الذنوب والمعاصي؛ فالمعاصي ما زالت بصاحبها حتى يضيق صدره ويقسو قلبه ويعظم همه ويزداد حزنه.

المعاصي عباد الله تُزيل النعم، وتجلب النقم، وتسوّد الوجه، وتُنقص الرزق.

ها هو شهر رمضان شهر الطُّهر والغفران.

ها هو رمضان بشرى للمذنبين وكلنا مذنب.

يا لها من نعمة عظيمة أن أمهلنا الله حتى هذه اللحظة لنتوب وأملنا في الله كبير.

أخلاي الحبيب: أُخلُ بنفسك -اعترف بذنبك -ناج ربك قل يارب: أنا الطفل الذي ربيته فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد، وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد، وأنا الغائب الذي رددته فلك الحمد، وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، وأنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد، ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً.

اعصر القلب وتألم، اترك دموعك تسيل على خديك وأنت تذكر هفواتك وآثامك التي ارتكبتها في حق خالقك وسترى الرحمات والبركات تنزل من رب الأرض والسماوات.

هذه هي الوصية الأولى لي ولك أخي الصائم.

الوصية الثانية أخلاي الحبيب:

مهمتك في رمضان تتركز في الاستفادة القصوى من ثواني ودقائق وساعات هذا الشهر والتي تتجاوز(2) مليون ونصف ثانية.

(43) ألف دقيقة.

(720) ساعة.

نصفها (350) ساعة نوم نصف الشهر.

(150)ساعة أكل وزيارات، وتنقل في الأسواق، وجلسات هنا وهناك، ولا يتبقى لك سوى (220) ساعة والتي تعادل تسعة أيام فقط.

أخي الكريم:

انتبه لأغلى وأثمن وأسمى ثلاث ساعات من أيام رمضان لا تفرط فيها.

الساعة الأولى بعد صلاة الفجر وهي وهو وقتٌ مبارك، قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130]

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

أخي الحبيب: هل أنت مشتاق للحج والعمرة؟

روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة**» [الترمذي: 586، وقال حسن غريب].

فلنحج أربع مرات في رمضان على الأقل.

الساعة الثانية ساعة الغروب وهي ساعة مباركة لا تشغلوا فيها أنفسكم بالحديث عن الدنيا وما فيها واشغلوا أنفسكم بذكر الله والدعاء، فللصائن دعوةٌ لا ترد.

الساعة الثالثة ساعة الأسحار، ساعة المناجاة، ساعة القرب من الله، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: 18]

أخي الصائم اغتنم تلك الساعة وصلّ ولو ركعتين، وادع ربك وتذلل بين يديه.

الوصية الثالثة:

عبد الله: رمضان قصير لا يحتمل التقصير. وقدومه عبور لا يقبل الفتور.

فكلما تكاسلت... فتذكر قول الله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: 184]

الوصية الرابعة: تذكر بصيامك وعطشك الظمأ يوم القيامة:

إذا شعرت بحرارة وتعب وارهاق تذكّر حلاوة الأجر. وما أجمل الفرحة عند الإفطار، وما أحلاها عند أخذ الكتاب باليمين، وصدق -ﷺ- حين قال: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة بلقاء ربه**»[البخاري (4/ 103) الصوم: باب فضل الصوم ومسلم (8/ 32) في الصيام: باب فضل الصيام.].

فنخلص في صيامنا وصلاتنا ودعاءنا ولنتذكر بصومنا وجوعنا إخواننا المسلمين المحرومين والمشردين والنازحين طوال العام.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

أيها المسلمون:

الوصية الخامسة احرص على صلاة التراويح: وإياك إياك أن تمل من القيام والصيام؛ إنها ساعات قصيرة وينتهي رمضان ويبقى الأجر العظيم، قال -ﷺ-: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**» [أخرجه البخاري ح (37)، ومسلم ح (759).] من الناس من يزهد في صلاة التراويح يصلي أربع ركعات وينطلق أو يصلي ثمان ثم ينطلق ونسي قول النبي -ﷺ-: « **من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة** » [سنن الترمذي (806) وقال: حسن صحيح، سنن النسائي (1605) سنن ابن ماجة (1327) عن أبي ذر رضي الله عنه].

الوصية السادسة: ليكن لك مع القرآن وقفات وتأملات وتلاوات خاشعات فرمضان شهر القرآن، بل هو شهر الكتب السماوية كلها، ففُضّل هذا الشهر بإنزال كلام الله فيه، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ١٨٥﴾ [البقرة:185]، ولذلك فقد كان جبريل عليه السلام يدارس النبي -ﷺ- القرآن كل ليلة من ليالي رمضان، كما ثبت ذلك في الصحيح.

و كان السلف الصالح إذا جاء رمضان تركوا الاشتغال بغير القرآن، وأقبلوا على القرآن، قراءة وتدبرا وعملا؛ لما لقراءته في هذا الشهر الكريم من المزية العظيمة والأجر المضاعف.

الوصية السابعة: احرص على الجلوس أكبر وقت ممكن في المسجد. فما دمت في المسجد فأنت في ضيافة ملك الملوك، وعدّاد الحسنات يعمل، ولعل الله أن يجعلنا وإياك ممن قلوبهم معلقة بالمساجد والذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

الوصية الثامنة: تحرر وتخفّف من هاتفك لا يشغلنك في رمضان.

الوصية التاسعة: أكثر من الصدقة في رمضان؛ فأفضل الصدقة في رمضان، ومن فطَّر صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئًا. والصدقة تُطفئ غضب الرب، وكم من صدقة إلى مكروب غفر الله بها الذنوب وستر بها العيوب.

الوصية العاشرة: لا تكثر من الأكل تُتعب نفسك وجيبك وصحتك وتضيع خشوعك وصلاتك؛ فمَنْ أكل كثيرًا شرب كثيرًا، ومن شرب كثيرًا نام كثيرًا، ومَنْ نام كثيرًا فاته خيرٌ كثيرٌ.

الوصية الحادية عشر: لا تكثر من النوم في رمضان؛ فإن كثرة النوم تجعلك فقيرًا من الحسنات يوم القيامة، وسوف ينتهي رمضان وأين هي راحة أولئك وتعب هؤلاء؟ ذهبت وما بقيت إلا الحسنات أو السيئات، واعلم أن مقامك في الدنيا قليل والمكث في القبور طويل.

الوصية الثانية عشر:

أخي الحبيب: أُذكّرك بمشروع البراءتين وهي المواظبة أربعين يوماً على تكبيرة الإحرام في جماعة في المسجد في الصلوات الخمس، قال -ﷺ-: «**من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتِب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق**» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

الوصية الثالثة عشر:

عباد الله:

قبل أن تصوم بطوننا لتصوم ألسنتنا عن الغيبة والنميمة.

قبل أن تصوم بطوننا لتصم أعيننا وأسماعنا عن الحرام.

قبل أن تصوم بطوننا لتصم قلوبنا من الشحناء والبغضاء والحقد، كفى أيها المتهاجرون، كفى أيها المتقاطعون، كفى أيها المتباعدون. لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

فلتجتمع قلوبنا ولتلتحم صفوفنا ولنرضِ الله جل وعلا.

.. هذا وصلوا - **عباد الله**: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

العشر الأواخر – ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين فارج الهم، وكاشف الغم، مجيبِ دعوة المضطرين، وجابرِ كسر المنكسرين، لم يُخْلِ محنة من منحة، ولا نقمة من نعمة، نحمده على حلو القضاء ومرّه، ونعوذ به من سخطه ومكره، ونسأله أن يجعل لنا من كل شدةٍ فرجاً، ومن كل ضيقٍ سعةً ومخرجاً.

والصلاة والسلام على مُعلم البشرية، وهادي الإنسانية، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، اتقوا الله؛ فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله ﷻ، فتقوى الله أكرم ما أسررتم، وأجمل ما أظهرتم، وأفضل ما ادخرتم، هي خير لباس قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26]

وخير زاد قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: 197]

تزوّد من التقوى فإنك راحلٌ ... وسارع إلى الخيرات فيمن يسارعُ

فما المال والأهلون إلا ودائعُ ... ولا بد يوماً أن تُرد الودائع

أيها المسلمون: هذه أيام شهركم تتقلص، ولياليه الشريفة تتقضَّى، وتنطلق شاهدة بما عملتم، وحافظة لما أودعتم، هي لأعمالكم خزائن محصنة، ومستودعات محفوظة إلى يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: 30]، يُقال لك ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: 14] هذه حسناتك هذه صلاتك، هذا قيامك، هذا دعاؤك وخشوعك، هذه دموعك من خشية الله. ينادي ربكم: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**» [رواه مسلم (16/ 132، 133) البر والصلة: تحريم الظلم].

عباد الله: هذا هو شهركم، وهذه هي نهاياته، وخاتمته فالأعمال بخواتيمها اللهم احسن ختامنا، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أعمارنا أواخرها وخير أيامنا يوم نلقاك.

مؤذن يؤذِّن في أحد المساجد سنين معدودات طالما صدع بكلمة التوحيد وفي السادس من شهر رمضان يؤذّن لصلاة العصر وفي التكبيرة الأخيرة في الأذان يسقط يحركوه فإذا هو قد فارق الحياة. الله أكبر ما أحلاها من خاتمة يُبعث يوم القيامة وهو يؤذِّن.

وامرأة في الستين حريصة على صلاة القيام مع المسلمين وفي ركعة من الركعات كبّر الإمام للركوع فتسقط ميتة لتبعث مصلية.

أيها الموحدون:

إن الخاتمة الحسنة لا تأتي إلا من رصيد سابق من الصالحات والقربات والطاعات فمن عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه.

أيها الأحبة، الوقفة الأول: مع العشر الأخيرة من شهر رمضان فهي سوق عظيم يتنافس فيه الصائمون وموسم يضيق فيه المفرّطون، وامتحان تُبتلى فيها الهمم، ويتميّز أهل الآخرة من أهل الدنيا.

كان النبي -ﷺ- يحتفي بها أيما احتفاء. بل كان يترك الدنيا كلها ويعتكف في مسجده تلمسّاً لفضلها وأحيا لياليها. العشرين قبلها كان يخلطها بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر شمر وجد وشد المئزر [أخرجه البخاري في صلاة التراويح (2024)، ومسلم في الاعتكاف (1174) من حديث عائشة رضي الله عنها.]. هجَر فراشه، أيقظ أهله، يطرق الباب على فاطمة وعلي رضي الله عنهما قائلاً: «**ألا تقومان فتصليان**» يطرق الباب وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ [طه: 132]، ويتجه إلى حجرات نسائه آمراً: «**أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**» [رواه البخاري].

فإذا كان رسول الهدى وإمام المتقين يجتهد في هذه العشر ما لا يجتهد في غيرها فكيف بنا ونحن المقصرون ونحن المذنبون فنحن أحوج للاجتهاد والتعرض للنفحات والرحمات.

الوقفة الثانية أيها المسلمون: الصّلاةُ قرّة عُيونِ الصّالحين ورَاحةُ أفئدةِ الخاشِعين، وأفضَلُ الصّلاةِ بعد الفريضةِ صلاةُ الليل، حثَّ النبيّ -ﷺ- أصحَابَه على قيامِ اللّيل، يقول النبيّ لابن عمَر رضي الله عنه: «**نِعمَ الرّجلُ عبدُ الله لو كان يصلِّي من الليل**» [متفق عليه]، فما تَركَ القيامَ بعد ذلك رضي الله عنه، وقال عليه الصلاةُ والسلام لعبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «**يا عبدَ الله، لا تَكُن مثلَ فلانٍ كان يقومُ اللّيلَ فتركَ قيامَ اللّيل**» [متفق عليه].

قِيامُ الليل من أفضَلِ الأعمالِ ومن أسبابِ دخولِ الجنان، قال رسول الله -ﷺ-: «**يا أيّها الناس، أفشُوا السّلامَ، وأطعِموا الطّعامَ، وصَلّوا بالليل والناسُ نِيام، تدخُلُوا الجنّةَ بسَلامٍ**» [رواه الترمذيّ]. ولياليِ رمضانَ مبشَّرٌ من قامَها بغُفرانِ الذّنوبِ، قال -ﷺ-: «**من قامَ رَمضانَ إيمانًا واحتسابًا غفِر لَه ما تقدَّم مِن ذَنبِه**» [متّفق عليه].

الله الله في المحافظة على صلاة التراويح والتهجد فمن صلّى مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة كما جاء في الحديث.

الوقفة الثالثة مع الدعاء: أيها الأحبة، قدّموا لأنفسكم وجدوا وتضرعوا. تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا رسول الله: أرأيت إن علمت ليلة القدر ماذا أقول فيها؟ قال قولي: «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى**» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.].

نعم أيها الإخوة: الدعاء الدعاء. عُجُّوا وأكثروا في هذه الليالي والأيام بالدعاء. فقد قال ربكم عز شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186]

أخي الحبيب: اكتب حوائجك ومسائلك وطلباتك وادع الله بها في ساعات الإجابة عند الإفطار، وفي الأسحار، وفي السجود، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة واحرص على اللقمة الحلال.

أخي الحبيب: لا تستبطئ الإجابة فوالله كم من دعوات رفعها الصالحون في رمضان ما مرت أيام أو شهور إلا جاء الجواب كالشمس في ضحاها.

قال موسى عليه السلام: "يا رب أي عبادك أعجز؟ قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل والرزق بلا دعاء قال: وأي عبادك أبخل؟ قال: الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه ولم يطعمه".

وكان رجل يبارز الله بشرب الخمر، جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مسجد منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع الغلام الدراهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعو لك فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعاه منصور ثم قال: والآخر، أن يخلف الله عليّ دراهمي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يتوب

الله على سيدي فدعاه ثم قال: والآخر، فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعاه منصوراً فرجع الغلام إلى سيده فقال لم أبطأت فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال: سألت لنفسي العتق فقال: اذهب فأنت حر ثم قال: وأي شيء الثاني فقال: أن يخلف الله عليّ الدراهم فقال: لك أربعة آلاف درهم ثم قال: وأي سيء الثالث فقال: أن يتوب الله عليك فقال: تبت إلى الله ثم قال وأي شيء الرابع فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكور وللقوم فقال هذا الواحد ليس إليّ فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول له أنت فعلت ما كان إليك أترى أني لا أفعل ما إليّ فقد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين.

إنها ليالٍ مباركة يقوم فيها العُبّاد بين يدي ملك الملوك يدعون الله ويلهجون بذكره وشكره وحمده يقولون اعتق رقابنا من النار.. يا الله اعتق رقابنا.

ما أجملها من جملة وما أحسنها من كلمة.

إنها دعوات الصالحين في جوف الليل. إنها كلمات المخبتين إلى ربهم.

إنها أنين التائبين إلى خالقهم. إنها حُداء العارفين ونشيد المشتاقين يرددوا اعتق رقابنا.

اعتق رقابنا لأننا نعلم أن في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار.

اعتق رقابنا لأننا نعلم أنه لن يعتقها أحدٌ سواك.

اعتق رقابنا كلمةٌ تملأ القلب وتهز الجوارح وتنبه الغافل وتوجه الحيران.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الوقفة الرابعة أيها المسلمون: الاعتكاف:

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: « **كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعتكف في العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ ثم اعتكف أزواجه من بعده**».

عجيب هذا الاعتكاف في أسراره ودروسه؟.

المعتكف ذكر الله أنيسه، والقرآن جليسه، والصلاة راحته، ومناجات الحبيب متعته، والدعاء والتضرع لذته.

إذا أوى الناس إلى بيوتهم وأهليهم، ورجعوا إلى أموالهم وأولادهم لازم هذا المعتكف بيت ربه وحبس من أجله نفسه، ويقف عند أعتابه يرجوا رحمته ويخشى عذابه، لن يخيبه ملك الملوك فمن استطاع أن يعتكف اعتكافاً كليا فليفعل، ومن استطاع أن يعتكف اعتكافا جزئياً فليفعل.

الوقفة الخامسة أيها المسلمون: إن من أعظم ما يُرجى فيها ويتحرى ليلة القدر: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [القدر: 2] ليلة دفن الذنوب من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه.

إنها ليلة تجري فيها أقلام القضاء بإسعاد السعداء وشقاء الأشقياء: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: 4] ولا يهلك على الله إلا هالك.

إنها ليلةٌ مباركة كثيرة الخير والبركة أنزل الله فيها القرآن العظيم فنالت هذه الليلة هذه المكانة وهذا الفضل وهذه الأوصاف الجليلة بسبب ذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: 3]

إنها ليلةٌ فريدة ليس لها مثيل من ليالي الدهر أنزل الله في شأنها سورةٌ قائمة بذاتها مستقلة بالحديث عنها ألا وهي سورة القدر التي بينت.

إنها ليلة خير من ألف شهر في الفضل والقدر وكثرة الثواب والأجر تعادل أكثر من ثلاث وثمانين سنة.

إنها ليلة تتنزل فيها الملائكة ومعهم الروح الأمين جبريل عليه السلام، في وفد هائل عظيم، ملائكة أكثر من عدد الحصى والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة والمغفرة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحفون مجالس الذكر ونحو ذلك.

إنها ليلة سلام للمؤمنين لكثرة من يُعتقون فيها من النار ويسلم من عذابها.

الله أكبر، ليلة واحدة تقومها يغفر لك ما فعلت من ذنوب وخطايا طوال عمرك الذي مضى، فأين أصحاب القلوب الحية الذين استشعروا كثرة ذنوبهم وعظيم خطاياهم من هذا العرض الرباني السخي؟! وما أشد غبن من فرّط في ترصد هذه الليلة وقيامها.

الوقفة السادسة أيها المسلم، المال وديعة في يدك، ليس لك منه إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت، فتواضع بقلبك للمسكين، واحن عليه، ولا تحتقر فقيرا، «**فإن أكثر أهل الجنة هم الفقراء**» [متفق عليه]. وباليسير من النفقة مع الإخلاص تنجو من النّار، يقول النبيّ -ﷺ-: «**اتَّقوا النارَ ولو بِشِقِّ تمرَة**» .

أيها المسلمون: أدوا الزكاة قبل أن تفقدوا المال مرتحلين عنه أو مرتحلا عنكم، أدوا زكاة أموالكم قبل أن يأتي اليوم الذي يُحمى عليه في نار جهنم فتكوى به الجباه والجُنُوب والظهور قبل أن يُمثّل لصاحبه شجاعاً أقرع فيأخذ بشدقيه ويقول: "**أنا مالك أنا كنزك**".

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: 180]

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: 34]

وقال النبي -ﷺ- في تفسير الآية الأولى: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له شُجاعاً أقرع، -وهي الحية الخالي رأسها من الشعر لكثرة سمها-، مُثّل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه، يعني شدقيه، يقول أنا مالك أنا كنزك**» [رواه البخاري].

وقال في تفسير الآية الثانية: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت له صفائح من نار فأُحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أُعيدت، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد**» [رواه مسلم]. وحق المال هو الزكاة.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾. [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

قاعدة الفوز

الحمد لله الذي جمع قلوب المؤمنين على الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديان، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والإحسان، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، فمن اتقى الله جعل له نوراً يُفرّق به بين ما يبغضه ويرضاه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال:29]

عباد الله: سنعيش وإياكم مع قاعدةٍ جليلةٍ كريمةٍ نافعةٍ مباركة شافيةٍ كافية.

إنها قاعدة من قواعد التعامل مع الله تعالى.

قاعدة من عمل بها سعد في الدنيا والآخرة، ورضي الله عنه دنيا وآخرة خاصّة إذا كان في رحاب الإسلام والتوحيد، وتحت مظلة محمد ﷺ، تنص القاعدة على أن: «**معاملة الخالق للمخلوق على قدر معاملة المخلوق للخلق**». أي عامل الخلق بما تحب أن يعاملك الخالق سبحانه.

إن الله كريمٌ يحب الكريم من عباده، رحيمٌ يحب ويرحم من عباده الرحماء، ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم ويتجاوز عن زلاتهم ويقبل معاذيرهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، والرفيق بهم، ويبغض الفظ الغليظ القاسي.

عامل الخلق بما تحب أن يعاملك الخالق، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غُفر له، ومن سامح سامحه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق على العباد شاق الله تعالى به، ومن مكر مُكر به فكما تدين تُدان، وكن كيفما شئت؛ فإن الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده.

ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه.

أتريدُ يا عبد الله الرزق؟ وأن يعطيك الله؟ أنفق في وجوه الخير يُنفقُ اللهُ عليك، فقد روى أبو هريرة –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: «قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» [متفق عليه].

فهذا وعد من الله عز وجل بِالْخُلْفِ لمن أنفق في وجوه الخير، قال -عز وجل- {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}.تعاني من الم من مرض فيك او في اهلك تصدق على عباد الله داووا مرضاكم بالصدقة.

أخلاق الحبيب: احرص على تخفيف الشدائد عن الناس ليخفف الله عنك، قال -ﷺ-: «من فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كُربةً من كُرب يوم القيامة» [رواه مسلم].

هذه قصة امرأة كان ولدها مسافراً، وكانت قد قعدت يوما تأكل وليس أمامها إلا بعض إدام وقطعة خبز، فجاء سائل فمنعت عن فمها وأعطته وباتت جائعة، فلما جاء الولد من سفره جعل يحدثها بما رأى، قال: ومن أعجب ما مر بي أنه لحقني أسد في الطريق، وكنت وحدي فهربت منه، فوثب علي وما شعرت إلا وقد صرت في فمه، وإذا برجل عليه ثياب بيض يظهر أمامي فيخلصني منه ويقول «لقمة بلقمة »، ولم أفهم مراده.

فسألته عن وقت هذا الحادث وإذا هو في اليوم الذي تصدقت فيه على الفقير، نزعت اللقمة من فمها لتتصدق بها فنزع الله ولدها من فم الأسد. اللقم يا عباد الله تدفع النقم.

عبد الله: **أتريد أن يرحمكَ الله عز وجل؟** فارحم الناس ولا تَشُقَ عليهم، فعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ-: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» [رواه الترمذي].

كُن رحيما ليرحمك الباري سبحانه رحم الله امرأةً بغي لأنها رحمت كلبا فسقته فكيف بمن يرحم البشر.

وأما إذا قصدت إدخال الضرر عليهم بلا حق وشققت عليهم فسيشق الله عليك، والجزاء من جنس العمل، قال -ﷺ-: «**مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللهُّ بِهِ، ومَنْ شَاقَّ شَقَّ اللهُّ عَلَيْهِ**» [رواه ابن ماجه والترمذي]، فالذي ستعامل به الناس سيعاملك الله به، ولا يظلم ربك أحدا.

عبد الله: **إذا مرت عليك أزمة ومشكلة وتريد أن تنكشف عنك، فيسر على معسر**، فقد قال -ﷺ-: «**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ**» [رواه مسلم].وقال عليه الصلاة والسلام: «**كان تاجر يداين الناس، فإن رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه**» [رواه البخاري، ومسلم (1562)].

عبد الله:

إذا أردت أن يسترك الله ولا يفضح عيبك، فاستر على الناس ولا تتبع عوراتهم، فقد ا قال -ﷺ-: «**من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة** »[متفق عليه]، وأما من تتبع عورات الناس ونشرها وفضحها، أما من تتبع عورات العلماء، والصالحين وزلاتهم ونشرها فعاقبة ذلك وخيمة، فقد روى عبد الله بْنُ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ ولَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ ولَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**» [الترمذي].

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، استر على الناس يسترك الله في الدنيا والاخرة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

عبد الله:

أتريد من رب العالمين أن يعفوَ عنك ويصفحَ ويتجاوزَ عن ذنوبك؟

فاعفُ أنت عن الناس إذا أخطأوا عليك، وتجاوز عنهم كي يتجاوز عنك قال تعالى {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى: 40]

في رمضان وفي ليلة القدر بالتحديد يدعو المسلم ويقول: «**اللهم انك عفوٌ كريم تحب العفو فاعف عني**»، كيف تريد يا عبد الله أن يعفو الله عنك وأنت ما عفوت عن أخيك لكلمة أو لخلافٍ بسيط، فكما تدين تدان.

وإذا أردت يا عبد الله العون من الله ـعز وجلـ فأعن مسلما على حوائجه، فقد قال ـﷺ: «**وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» [أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (2699) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

هكذا يتعامل الله معنا بحسب تعاملنا مع الناس. واسمع إلى هذا الحديث الذي تتلألأ منه أنوار النبوة: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن رجلاً جاء إلى النبي -ﷺ- فقال: يا رسول! أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ، سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربه، أو يقضى عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»

[رواه ابن أبى الدنيا في قضاء الحوائج ص 80 رقم 36 وحسنه الألباني في الصحيحة(906) وهو في صحيح الجامع (176)].

عبد الله:

أتريد أن يرد الله عن وجهك النار يوم القيامة؟ فرد عن أخيك الغيبة حين يغتابه الناس وأنت بينهم، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [رواه البيهقي وهو حديث صحيح]..

دافع عن اعراض العلماء، والصالحين يرد الله عن وجهك النار يوم القيامة.

دافع عن عرض نبيك المصطفى، رد على من يتكلمون على نساء النبي المصطفى يرد الله عن وجهك النار يوم القيامة.

دافع عن عرض صحابة نبيك المصطفى رد على من يسبون صحابة رسول الله ويجعلونه دينهم. يرد الله عن وجهك النار يوم القيامة.

عبد الله:

أتريد أن ينصرك الله في الدنيا والآخرة؟ فانصر أخاك بظهر الغيب ودافع عنه، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: (**من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**) [رواه البيهقي].

أتريد أن يثبت الله قدمك على الصراط حين تزل الأقدام؟ فامش في حاجة أخيك حتى تثبتها له، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: (**ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام**) [رواه ابن أبي الدنيا.] **ولأن أمشي في حاجة أخي المسلم أحب إليّ من أن اعتكف في المسجد شهراً** - يعنى: مسجد المدينة المنورة.

أتريد أن يحبك الله عز وجل؟ فأحب عباد الله الصالحين ورافقهم وزرهم وأحسن صحبتهم، فقد قال-ﷺ-:«قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: وجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ والمُتَجَالِسِينَ فِيَّ والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ والمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ»[رواه أحمد]

ارفق بعباد الله تشملك دعوة النبي -ﷺ- «**اللهم من رفق بأمتي فارفق به، ومن شق عليهم فشق عليه**» [الألباني في السلسلة الصحيحة]، وقال -ﷺ-: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف**»[صححه الألباني]،

أهل الجنة كل هيّن ليّن سهل وأهل النار كل عُتل جوّاظ مستكبر، فانظر في حالك هل أنت ليّن سهل رفيق في تعاملك وبيعك وحياتك ومع أهلك أبشر بالخير، وإن كنت قاسياً جباراً ظالماً فحُسّن من أخلاقك.

اطعم المسلمين يطعمك الله تعالى، اسقي المسلمين يسقيك الله، اُكس المسلمين يكسك الله من حرير الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أيُّما مؤمن أطعمَ مؤمنا على جُوع أطعمه الله يوم القيامة مِن ثمار الجنة، وأيُّما مؤمن سقى مؤمنا على ظمإٍ سقاهُ الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيُّما مؤمن كسى مؤمنا على عُرْي كَساهُ الله يوم القيامة، من حُلل الجنة**» [أخرجه الترمذي].

عبد الله: احذر أن تعذب الناس فيعذبك الله، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله يُعذّب الذين يُعذّبون الناس في الدنيا**» [أخرجه مسلم في البر (2613) من حديث هشام بن حكيم رضي الله عنه.].

من تكبّر على الناس بماله أو بجاهه أو بسلطانه الجزاء من جنس العمل، وفي السنن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيُساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار: طينة الخبال**».

[رواه الترمذي (9/ 1203، 1204) أبواب صفة القيامة وقال: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني].

وفي هذا الباب اذكر قصة الإمام أحمد بن مسكين من علماء القرن الثالث الهجري في البصرة، يقول عن نفسه: "إني امتحِنت بالفقر سنة تسع عشرة ومائتين، وقل مالي وقحط منزلي، فلم يكن عندنا شيء، ولي امرأة وطفلها، وقد طوينا على جوع يخسف بالجوف خسفا، فجمعت نيتي على بيع الدار والتحوّل عنها، فخرجت أتسبب لبيعها فلقيني أبو نصر صاحبي، فأخبرته بنيتي لبيع الدار فدفع إلى رقاقتين من الخبز بينهما حلوى، وقال أطعمها أهلك. ومضيت إلى داري فلما كنت في الطريق لقيتني امرأة معها صبي، فنظَرَت إلى الرقاقتين وقالت: يا سيدي، هذا طفل يتيم جائع، ولا صبر له على الجوع، فأطعمه شيئًا يرحمك الله، ونظر إليّ الطفل نظرة لا أنساها، وخيّل إليّ حينئذٍ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يشبع هذا الطفل وأمه، فدفعت ما في يدي للمرأة، وقلت لها: خذي وأطعمي ابنك. والله ما أملك بيضاء ولا صفراء، وإن في داري لمن هو أحوج إلى هذا الطعام، فدمعت عيناها، وأشرق وجه الصبي، ومشيت وأنا مهموم، وجلست إلى حائط أفكر في بيع الدار وإذ أنا كذلك إذ مرّ أبو نصر وكأنه مستطار فرحًا، فقال: يا أبا محمد، ما يجلسك ها هنا وفي دارك الخير والغنى؟!

قلت: سبحان الله! ومن أين يا أبا نصر؟!

قال: جاء رجل من خراسان يسأل الناس عن أبيك أو أحد من أهله، ومعه أثقال وأحمال من الخير والأموال، فقلت: ما خبره؟

قال: إنه تاجر من البصرة، وقد كان أبوك أودَعه مالاً من ثلاثين سنة، فأفلس وتبدد المال، ثم ترك البصرة إلى خراسان، فصلح أمره على التجارة هناك، وأيسَر بعد المحنة، وأقبل بالثراء والغنى، فعاد إلى البصرة وأراد أن يتحلّل، فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحه في ثلاثين سنة.

قال أحمد بن مسكين: حمدت الله وشكرته، وبحثت عن المرأة المحتاجة وابنها، فكفيتهما وأجرَيت عليهما رزقا، ثم اتجرت في المال، وجعلت أربه بالمعروف والصنيعة والإحسان وهو مقبل يزداد ولا ينقص، وكأني قد أعجبتني نفسي وسرني أني قد ملأت سجلات الملائكة بحسناتي، ورجوت أن أكون قد كتبت عند الله في الصالحين، فنمت ليلة فرأيتُني في يوم القيامة، والخلق يموج بعضهم في بعض، ثم وضعت الموازين، جيء بي لوزن أعمالي، فجعلت سيئاتي في كفة وألقيت سجلات حسناتي في الأخرى، فطاشت السجلات، ورجحت السيئات، كأنما وزنوا الجبل العظيم بلفافة من القطن، ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه، فإذا تحت كل حسنه شهوة خفية من شهوات النفس، كالرياء والغرور وحب المحمدة عند الناس، فلم يسلم لي شيء، وهلكت عن حجتي وسمعت صوتًا: ألم يبق له

شيء؟ فقيل: بقي هذا، وأنظر لأرى ما هذا الذي بقي، فإذا الرقاقتان اللتان أحسنت بهما على المرأة وابنها، فأيقنت أني هالك، فلقد كنت أحسن بمائة دينار ضربة واحدة فما أغنَت عني، فانخذلت انخذالاً شديدًا فوضِعَت الرقاقتان في الميزان، فإذا بكفة الحسنات تنزل قليلاً ورجحت بعضَ الرجحان، ثم وضعت دموع المرأة المسكينة، حيث بكت من أثر المعروف في نفسها، ومن إيثاري إياها وابنها على أهلي، وإذا بالكفة ترجح، ولا تزال ترجح حتى سمعت صوتًا يقول: قد نجا، فلا تحقرنّ من المعروف شيئًا واتقوا النار ولو بشق تمرة.

فكما تكون لعباد الله، يكون الله لك، فاختر لنفسك الحالة التي تريد أن يعاملك الله جل وعلا بها، فعامل عباده بذلك تجد جزاءه.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

عقوق الوالدين (1)

الحمد لله شرح صدور المؤمنين للإيمان بفضله ورحمته، وأضل من شاء من عباده بعدله وحكمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل للمتقين عُقبى الدار، ولأهل الكفر والضلال الخزي والبوار، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم القرار.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، حق التقوى وكونوا مع الصادقين، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: 3]

اليوم نعيش مع كبيرة من كبائر الذنوب، مع معصية تتفطّر لها القلوب، وترتج لها النفوس.

معصية هي نذير شؤم، وعلامة خذلان.

إنها عقوق الوالدين.

عباد الله: إننا حينما نتحدث عن عقوق الوالدين فإننا نتحدث عن أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله، كيف لا تكون كذلك، وقد قرن الله بر الوالدين بتوحيده فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٢٣﴾ [الإسراء: 23]

هذا يهجر والده لأتفه سبب.. وأخرى تسب أُمها لأنها منعتها من الخروج.. وآخر يتجاوز ذلك بالضرب والتعدي على أمه أو أبيه، وربما تصل القضية إلى حد القتل كما نسمع في بيانات تنفيذ بعض الأحكام.

أخوة الإيمان، لا زالت قلوب كثير من الآباء وبالأمهات تئن من عقوق أبنائهم، ولا زالت عيونهم تدمع ألماً وقهراً من جُرم أبنائهم، عقوق وقطيعة يندى الجبين لها، وتقشعر الأبدان عند سماعها، بل إن العقل ليكاد ينكرها لبشاعتها.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثةٌ: عيسى بن مريم وصاحب جُرَيج، وكان جُرَيج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعةً، فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جُريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي،

فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر وجوه المومسات ـ أي: الزواني ـ، فتذاكر بنو إسرائيل جُريجًا وعبادتَه، وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننّه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صَومَعَتِه، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت، قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صَومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟! قالوا: زنيت بهذه البَغِيِّ فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلَّى، فلما انصرف أتى الصبيّ فطعن في بطنه وقال: من أبوك؟ قال فلانٌ الراعي، قال: فأقْبَلوا على جريج يُقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا..... » الحديث.

عباد الله: ثلاث مراتٍ تناديه وهو لا يُلقي لها بالاً، وكان الواجب عليه أن ينصرف من صلاته ويجيب أمه؛ لأن ذلك أولى من صلاة النافلة، إلا أنه ارتكب كبيرةً من كبائر الذنوب، ألا وهي عقوق الوالدين، فدعت عليه، فاستجاب الله لدعائها.

عقوق الوالدين كفُرٌ بنعم الله، وبُعدٌ عن رضوان الله.

عقوقُ الوالدين زعزعةٌ في المجتمع وبُعدٌ من دائرة الأمان وجريمةٌ توجب العقوبةَ في الدنيا والآخرة، قال -ﷺ-: «**ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. [متفق عليه].

عقوقُ الوالدين منكرٌ عظيمٌ وضيقٌ في الرزق وقصرٌ في العمر وسوءٌ في الخلق، قال -ﷺ-: «**من سرّه أن يمدّ له في عُمره ويُوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتةُ السوء فليتّق الله وليصِل رحمه**» [أخرجه أحمد بإسناد صحيح].

والوالدان أقرب الناس إليك رحمًا.

شاب تخلّص من أمه المعاقة برميها عند باب أحد المستشفيات، وآخرُ يطرد أمه طاعة لزوجته، وأم تقول لي ابن ثلاث سنوات والله ما سلّم عليّ، وآخر يُسمِعُها كلماتِ السب والشتائم، إذا تكلمت في زوجته وعصت أمرها.

الله أكبر يا عبدَ الله، هل هذا جزاء من حملتك في أحشائها تسعة أشهر وهنًا على وهنٍ، حملتك كُرهًا ووضعتك كُرهًا، ولا يزيدها نموّك إلا ثُقلاً وضعفًا. وعند الوضع رأت الموت بعينيها، ولكن لما بصُرت بك إلى جانبها سُرعان ما نسيت آلامها، وعلَّقت فيك جميعَ آمالِها، رأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم

شُغلت بخدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحتها، طعامُك دَرُّها، وبيتك حِجرها، ومركبُك يداها وصدرها وظهرها، تحيطك وترعاك، تجوع لتشبع أنت، وتسهر لتنام أنت، فهي بك رحيمة وعليك شفيقة. إذا غابت عنك دعوتها، وإذا أعرضت عنك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثت بها، تحسب كلَّ الخير عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضمتك أو لحظتك بعينها.

أحد الآباء التجار بعدما كَبُر أخذه أولادُه وأَوْدَعُوه دار العجزة، فكتب من ماله الكثير للممرِّض الذي يعتني به.

وآخر يتصل بأحد القنوات وهو يبكي، يقول في ليلةٍ مطيرة شديدة البرد بينما كنت ماراً بسيارتي رأيت رجلا كبيراً في السن بين المطر والبرد. فقلت له اصعد أوصلك معي لبيتك. قال: هذا بيتي، قلت وما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: ابني طردني؛ لكن لا تخف علي ما هي إلا دقائق ويدعوني ابني بعد أن يتوقف غضبه، هو يفعل بي هكذا كل يوم.

وآخر جاءني إلى المسجد قائلاً: لي ابن تعبت من أجله حتى تعلّم أحسن تعليم وارتقى حتى وصل إلى رُتبة عالية، وفي يوم من الأيام تشاجرت معه ورفع مسدسه علي يريد قتلي، جاء اليّ يا عباد الله وهو يبكي ويقول لي: يا شيخ هل هذا جزائي حين ربيته وعلّمته، ماذا فعلت به، والله كنت أُنزله من

القرية عندما يمرض على ظهري لعلاجه وأعود به على ظهري؛ فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

الله أكبر يا عبدَ الله، هذا أبوك الذي يكد ويسعى، ويدفع عنك صنوف الأذى؛ ينتقل في الأسفار يجوب الفيافي والقفار، ويتحمل الأخطار بحثًا عن لقمة العيش، ينفق عليك ويُصلحُك ويربيك، إذا دخلت عليه هشّ، وإذا أقبلت إليه بشّ، وإذا خرج تعلقتَ به، وإذا حضر احتضنت حِجره وصَدره.

ولسان حال كل أب عقه ابنه يقول:

غدوتك مولوداً وعلتك يافعـــاً ... تُعَل بما أدني إليك وتُنهـــل

إذا ليلةٌ نابتك بالسقـم لم أبـــت ... لذكرك إلا ساهراً أتململـــل

كأني أنا المطروق دونك بالـــذي ... طرقت به دوني وعيني تُهمِل

تخاف الردى نفسي عليك وإنهـا ... لتعلم أن الموت حتمٌ مؤجـل

فلما بلغت السـن والغاية التـي ... إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلتَ جزائي منك سوءً وغلظةً ... كأنـك أنت المنعـم المتفضـل

فليتك إذا لـم تـرع حـق أبـوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

فأوليتني حق الجـوار ولم تكـن ... علي بمالي دون مـالك تبخـل

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أيها المسلمون: عقوق الوالدين إنها جريمة كُبرى ورزيةٌ عظمى، ألم يجعل الله حق الوالدين في القرآن بعد حقه سبحانه؟، فقال سبحانه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء:36] وأمرنا الله بشكرهما بعد شكره سبحانه، فقال ﷻ: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: 14]

وقد سُئل رسول الله -ﷺ-: «**أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة على وقتها. قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين**»، فأولاً: الصلاة على وقتها، هذا حق الله، ثم بر الوالدين.

ثم إن الله ﷻ حرّم الإساءة إليهما ولو بكلمة أُف، هذا في حق من يقضي حاجتهما لكن بتأفف، بتضجر يقضي حاجتهما، لكن بضيق صدر وعبوس وجه، فهذا من العقوق، فكيف بمن يرفض قضاء حاجتهما أصلاً؟! فالأمر أشد، بل كيف بمن يقطعهما البتة؟ بل كيف بمن يشتمهما؟ بل كيف بمن يضربهما؟!! نعم والله، إن من القلوب من هي أشد قسوةً من الحجارة، وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار.

بعضهم يعتقد أنه ما دام الأب سيء الخلق فيستحق أن يُعامل بالمثل، ونقول: والله لو كانا أبواك مشركين كافرين لما جاز لك عقوقهما، ولوجب عليك مصاحبتهما بالمعروف، ألم يقل سبحانه ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ١٥﴾ [لقمان: 15]

إن أمراك بالشرك، إن أمراك بالكفر فلا تطعهما (وصاحبهما في الدنيا معروفا)، هذا في حق الأبوين المشركين، فكيف بأبويك المسلمين؟!

وما أشد العقوق وما أبشعه حينما يكون الأبوان في حال كبرهما وضعفهما أشد ما يكونان حاجةً إليك، فتتخلى عنهما وتنسى جميلهما.

ومما نرى ونسمع من العقوق، بعضهم يُقدّم زوجته على أمه، وآخر تغره وظيفته ومنصبه، وآخر يطغيه ماله ومرتبه، وآخر يصلهما لكن بتضجر وكأنه ينتظر بفارغ الصبر ساعة موتهما، يتأفف منهما يدخل الزوج وهو يعيش مع والديه أو أن والديه يعيشان عنده، يدخل البيت معبس الوجه مكفهرّ الجبين، فإذا دخل غرفة نومه سمعت الأمّ الضحكات تتعالى من وراء باب الحجرة، أو يدخل ومعه هدية لزوجه فيعطي زوجته، ويدع أمه، ويل هؤلاء من رب العالمين، ويلهم من الله، لماذا يعيش هؤلاء؟ أي خيرٍ يريدونه وأي رحمةٍ يرجونها؟! وأي بركةٍ في حياتهم ينتظرونها؟!! ليس لهم إلا السخط والغضب من رب العالمين، يقول -ﷺ- كما في صحيح الجامع من حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

«رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما»[رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع (3507)]، إنهم لو صدقوا في طلب مرضاة الله ورحمته لوجدوها في بر الوالدين.

جاء رجلٌ يريد الغزو، جاء إلى رسول الله -ﷺ- يستأذنه، فقال له: « هل لك من أم؟ قال نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجليها » [رواه ابن ماجة والنسائي واللفظ له والحاكم وقال: "صحيح الإسناد"].

أخي الحبيب: تريد الجنة وهي بين يديك! إنها عند رجل أُمك، فعُد إلى بيتك مقبّلاً رأسها ويديها، الزم رجليها فثم الجنة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «رغِم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة » [رواه مسلم (16/ 108)]، والمعنى أن من أدرك والديه أو أحدهما عند الكبر ولم يبر بهما لم يدخل الجنة، ورغم أنفه، أي وأنفه لصقٌ بالتراب من الذل، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: «لا يدخل الجنة قاطع».

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: «لا تصحب عاقاً لوالديه، فإنه لن يبرك وقد عقّ والديه».

أيها العاق: أراك لو أحسن إليك حيوان مرةً واحدة لما نسيت الجميل فكيف بأمك وأبيك وقد أحسنا إليك الدهر كله؟!. الجنة حرام حرام حرام على العاقّ لحديث: «ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقرّ الخبث في أهله»[رواه أحمد والنسائي].

ما أعجب حنان الأم؟ ما هذه الرحمة التي في قلبها؟ ترى ابنها يعقها ويقطعها ولا تريد أن تدعو عليه، إن الرحمة التي في قلبها تنسيها مرارة العقوق وآلام القطيعة، إنها أمه لا تزال تحبه وترجو له الهداية، وتطمع في ذلك ولا تيأس.

أعرف رجلاً قطع أمه ما يقارب الثلاثين عاماً، ثلاثون عاماً لم يسافر إليها لزيارتها يا عباد الله، مع قدرته، ما منعه إلا الكِبر، ومع ذلك لما جاءت ساعة وفاتها، أرسلت إليه تريد أن تراه، وتستأنس بلقياه قبل أن تفارق الدنيا، رحماك يا الله بها، وبجميع الأمهات الأحياء منهن والأموات.

لأمك حقٌ لو علمت كبـــــــير ... كثيرك يا هذا لديه يســـــــير

فكم ليلةٍ باتت بثقلك تشتكـــي ... لها من جواها أنّةٌ وزفـــــير

وفي الوضع لو تدري عليك مشقةٌ ... فكم غصص منها الفؤاد يطـير

وكم غسّلت عنك الأذى بيمينهـا ... ومن ثدييها شربٌ لديك نمـير

وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتهـا ... حنواً وإشفاقاً وأنت صغـــير

فضيّعتها لما أسنّت جـهالـــةً ... وطال عليك الأمر وهو قصـير

فآهٍ لذي عقل ويتبع الهـــــوى ... وواهاً لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائـها ... فأنت لما تدعو إليه فقـــــير

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

عقوق الوالدين (2)

الحمد لله المحمود بكل لسان، واسع الفضل والإحسان، أحمده سبحانه وأشكره، حمداً وشكراً يُنال بهما الخير و الرضوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد المنان، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث للثقلين؛ الإنس والجان، بلغ الرسالة وأوضح المحجة، حث على منار الحق وأبان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ذوي التقى والإيمان، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس ونفسي- بتقوى الله، فالسعيد من اتقى ربه، وتدبر أمره، وأخذ حذره، واستعد ليومٍ لا تُقال فيه عثرة، ولا تنفع فيه عبرة.

عباد الله! يا من شرّفكم الله بالإسلام! اشكروا الله على هذه النعمة الكبرى، فإن دينكم دين الكمال والشمول، لم يترك خيراً للعباد وصلاحاً لهم في المعاش أو المعاد إلا أمر به وحثَّ عليه، ولا شراً أو ضرراً يعود عليهم في دنياهم وفي عقولهم وأجسادهم إلا حذَّر منه ونهى عنه.

ما زلنا وإياكم مع تلك المصيبة العظيمة والمشكلة الخطيرة المعصية التي هي من أكبر الكبائر إنها عقوق الوالدين.

عباد الله: ما هي مظاهر العقوق، كيف تعرف يا عبد الله أنك عاق، اسمع إلى صور ومظاهر عقوق الوالدين:

أولاً: إبكاء الوالدين وتحزينهما: سواءً بالقول أو الفعل، أو بالتسبب في ذلك.

ثانياً: نهرهما وزجرهما: ذلك برفع الصوت؛ والإغلاظ عليهما بالقول. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: 23]

ثالثاً: التأفف، والتضجر من أوامرهما: وهذا مما أدبنا الله _عز وجل_ بتركه؛ فكم من الناس مَنْ إذا أمر عليه والداه صدَّر كلامه بكلمة أف، ولو كان سيطيعهما، قال تعالى ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23]

رابعاً: العبوس، وتقطيب الجبين أمامهما: فبعض الناس تجده في المجالس بشوشاً، مبتسما، حُسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المنزل، وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثاً هصوراً لا يلوي على شيء، فتبدَّلتْ حاله، وذهبت وداعته، وتولت سماحته، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته.

خامساً: النظر إلى الوالدين شزرًا: وذلك برمقهما بحنق، والنظر إليهما بازدراء واحتقار.

سادساً: الأمر عليهما: كمن يأمر والدته بكنس المنزل، أو غسل الثياب، أو إعداد الطعام؛ فهذا العمل لا يليق خصوصاً إذا كانت الأم عاجزةً، أو كبيرةً، أو مريضة.

أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها، وبرغبة منها وهي نشطة غير عاجزة فلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها، والدعاء لها.

سابعاً: انتقاد الطعام الذي تعدّه الوالدة: وهذا العمل فيه محذوران، أحدهما: عيب الطعام، وهذا لا يجوز؛ فرسول الله -ﷺ- " ما عاب طعاماً قط، إن أعجبه أكل، وإلا تركه.

والثاني: أن فيه قلة أدب مع الأم، وتكديراً عليها.

ثامناً: الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا: وذلك بترك الإصغاء إليهما، أو المبادرة إلى مقاطعتهما أو تكذيبهما، أو مجادلتهما، والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما.

فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.

تاسعاً: إثارة المشكلات أمامهما: سواءً مع الإخوان أو الزوجة، أو الأولاد أو غيرهم.

فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحدٍ من أهل البيت على خطأ ما إلا أمام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما، ويُقِضُّ مضجعهما.

عاشراً: ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما، وذكر معايبهما: فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما كأن يخفق في دراسته مثلاً ألقى باللائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه أهملاه، ولم يرباه كما ينبغي، فأفسدا عليه حياته، وحطّما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب.

الحادي عشر: شتمهما، ولعنهما: إما مباشرة، أو بالتسبب في ذلك؛ كأن يشتم الابن أبا أحدٍ من الناس أو أمه، فيرد عليه بشتم أبيه وأمِّه.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**»، قيل: وهل يَشْتِم الرجل والديه؟! قال: « **نعم! يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمَّه فيسب أمه**» [أخرجه البخاري في كتاب الأدب/ باب لا يسب الرجل والديه (10/ 417) فتح، ومسلم عن عبد الله بن عمرو].

الثاني عشر: تشويه سمعة الوالدين: وذلك باقتراف الأعمال السيئة، والأفعال الدنيئة، التي تخل بالشرف، وتخرم المروءة، وربما قادت إلى السجن والفضيحة، فلا شك أن هذا من عقوق الوالدين؛ لأنه يجلب لهما الهم، والغم، والخزي، والعار.

الثالث عشر: إيثار الزوجة على الوالدين: فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويُؤثرها عليهما، فلو طلبت منه أن يطرد والديه لطرَدَهما ولو كانا بلا مأوى.

وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقت نفسه يغلظ على والديه، ولا يرعى حقهما.

الرابع عشر: التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر: فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالاً تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.

الخامس عشر: التبرؤ منهما، والحياء من ذكرهما، ونسبته إليهما: وهذا من أقبح مظاهر العقوق، فبعض الأولاد ما إن يرتفع مستواه الاجتماعي، أو يترقى في الوظائف الكبيرة إلا ويتنكر لوالديه، ويتبرأ منهما، ويخجل من وجودهما في بيته بأزيائهما القديمة.

السادس عشر: التعدي عليهما بالضرب: وهذا العمل لا يصدر إلا من غلاظ الأكباد، وقُساة القلوب، الذين خلت قلوبهم من الرحمة والحياء، وخوت نفوسهم من أدنى مراتب المروءة والنخوة والشهامة.

السابع عشر: هجرهما، وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي: وهذا خلل وخطل؛ فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير؟!

الثامن عشر: البخل والتقتير عليهما: فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة.

وربما اشتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما.

التاسع عشر: المنة وتعداد الأيادي على الوالدين: فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلك بالمنّ والأذى، وتعداد الأيادي، وذكر ذلك البر بمناسبة وبدون مناسبة.

العشرون: السرقة من الوالدين: وهذا الأمر جمع بين محذورين، السرقة والعقوق؛ فتجد من الناس من يحتاج للمال، فيقوده ذلك إلى السرقة من والديه إما لكبرهما، أو لغفلتهما.

ومن صور السرقة أن يخدع أحد والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال أو الأرض أو نحو ذلك.

وقد يستدين منهما، وهو مُبَيِّتٌ النيةَ على ألا يسدد.

الحادي والعشرين: تمني زوالهما: فبعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيَّين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهه كي يتمادى في غيِّه وجهله.

الثاني والعشرين: قتلهما والتخلص منهما: فقد يحصل أن يشقى الولد، فيقدم على قتل أحد والديه؛ إما لِسَوْرَةِ جهل، أو ثورة غضب، أو أن يكون في حال سكر، أو طمعًا في الميراث، أو غير ذلك.

فيا لشؤم هذا، ويا لسواد وجهه، ويا لسوء مصيره وعاقبته، إن لم يتداركه الله

برحمته.

هذه بعض المظاهر والصور لعقوق الوالدين، ذلك العمل القبيح، والمسلك الشائن، الذي لا يليق بأولي الألباب، ولا يصدر من أهل التقى والصلاح والرشاد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

عباد الله: إذا ظهرت في أمة محمد -ﷺ- أربع عشرة خصلة؛ فانتظروا ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع في نظام قطع سلكه، ومن هذه الخصال: إذا أطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وأدنى صديقه، وأبعد أباه، ولا إله إلا الله ما أكثر هذا في هذا العصر!

ذكر أحد المشايخ، أن رجلاً تزوج بامرأةٍ وسرعان ما نشبت الخلافات بين أمه وزوجته، ودامت هذه المشاكل كثيراً، فلما يئس من حلها وقطع الأمل في إصلاحها قرر أن يذهب بأمه إلى شعب فيه ذئاب كيف تأكلها الذئاب ويستريح من أمه، فأخذ أمه وذهب بها حتى أتى الشعاب فوضعها ثم مضى، وفي الطريق أفاق من غفلته وأدرك فداحة عمله وقبيح جرمه، فعاد إلى أمه مسرعاً، ولكن متنكراً متلثماً، فلم رأته أمه ولم تعرفه قالت له: يا أخي، أرجوك أدرك ولدي، ذهب من هذا الطريق، إني أخاف عليه من الذئاب.

لا إله إلا الله، ما هذه الحنان، وما هذه الرحمة، وما هذا الذي يُقابله من العقوق والإجرام؟!

فلا تطع زوجـةً في قطـع والـدةٍ ... عليك يا ابن أخي قد أفنت العمـرا
فكيف تنكـر أماً ثقلك احتمـلت ... وقد تمرغت في أحشائها شهـرا
وعالجـت بك أوجـاع النفـاس ... وكم سرت لما رأت مولودها ذكـرا
وأرضـعتك إلى حـولين كاملـةً ... في حجرها تستقي من ثديها الـدررا
ومنك ينجسها ما أنت راضعه منها ... ولا تشتـكي نتنـاً ولا قـذراً
وعامـلتك بإحسـانٍ وتربيـةٍ ... حتى استويت وحتى صرت كيف ترى
فلا تفضـل عليها زوجـةً أبـداً ... ولا تدع قلبها بالقهر منكسـرا
والوالد الأصل لا تنكـر لتربيـةٍ ... واحفظه لا سيما إن أدرك الكـبرا

أخي الحبيب:

أنسيت تلك الأيام، يوم كنت ترفس في بطنها، أنسيت تلك الليالي يوم كنت تُسهرها وترهقها، لأجلك أنت أمك لم تذق مناماً، ولم تستسغ طعاماً، تبكي لآلامك، وتحزن لبكائك، تضمك إلى صدرها، وترضعها من ثديها، وتحمل أذاك بديها، وذلك الأب كما جاع لتشبع أنت، وكم تعب لتستريح أنت، ما جمع المال إلا لك، وما أفنى عمره إلا ليبني مستقبلك، يعمل ولا يكل ولا يمل، حتى احدودب الظهر ورق العظم وشاب الرأس، أما آن لهذا الفارس أن يترجل ويستريح؟ ثم بعد ذلك تنسى جميلها، وتنكر فضلها، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

بر الوالدين مقامٌ عظيم، وأظن أن من سمع هذه القصص والحكايات واعتبر فسوف يتهم نفسه بالعقوق، ولا أظن أحداً -أيها الإخوة- سوف يسمع هذه القصص وتلك العبر، إلا وسوف يتهم نفسه بكبيرة من الكبائر.

هذا رجل يطوف بالبيت، يحمل أمه العجوز على ظهره، ويطوف بها بالبيت، من منا يفعل هذا؟ ومن منا يتصور هذا قبل أن يفعله؟ يحمل أمه على ظهره ثم يطوف حول البيت، هل وصلنا بالبر إلى هذا المستوى؟ هل وصلنا بطاعة الوالدين وحبهما إلى هذه الدرجة؟ يحملها على ظهره فيطوف بالبيت، فيرى ابن عمر ذلك الرجل الصحابي الفقيه، فقال له: [يا ابن عمر! أتراني جزيتها؟ -تراني بهذا الفعل جزيت حق أمي وأرجعت لها الحقوق- فقال له ذلك الرجل العالم ابن عمر: لا. ولا بزفرة من زفراتها]، ولا بطلقة من طلقاتها حين وضعتك من بطنها.

مهما فعلت -يا عبد الله- ومهما أحسنت إليها، فإنك -يا أخي الكريم- لن تصل إلى حقها ولو فعلت ما فعلت.

هذه قصة يرويها أحد بائعي المجوهرات، يقول: دخل عليَّ في المحل رجل ومعه زوجته، وخلفه أمه العجوز تحمل ولده الصغير، يقول: وأخذت زوجته تشتري من المحل، وتشتري من الذهب، وتأخذ من المجوهرات، ثم قال له هذا الرجل للبائع: كم حسابك؟ فقال له -فقال-: مائة وعشرون ألف ريال، فقال هذا الرجل: ومن أين جاءت هذه العشرون ألف؟ نحن حسبناها مائة ألف، من أين هذه العشرون

الف ريال؟ من أين جاءت؟ قال: أمك العجوز اشترت خاتماً بعشرين ألف ريال، قال: أين هذا الخاتم؟ قال: هو ذا، فأخذ ابنها الخاتم ثم رماه إلى البائع، وقال: العجائز ليس لهن الذهب، ثم لما سمعت العجوز تلك الكلمات، بكت وذهبت إلى السيارة، فقالت زوجته: يا فلان! ماذا فعلت؟ لعلها لا تحمل ابنك بعد هذا.

لعلها لا تحمل لنا الابن، كأنها أصبحت خادمة، فعاتبه بائع المجوهرات، ثم ذهب إلى السيارة، وقال لأمه: خذي الخاتم إن كنت تريدين، خذي هذا الذهب إن كنت تريديه، فقالت أمه: لا والله لا أريد الذهب، ولا أريد الخاتم، ولكني أردت أن أفرح بالعيد كما يفرح الناس، فقتلت سعادتي.

يا عبد الله! كم وكم من الرجال من يأخذ زوجته في سفر، وفي رحلة، وفي نزهة، ولا يكلف نفسه أن يقول لأمه: أتريدين الذهاب معنا؟ هلا سافرت معنا! فتجده لا يريدها.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

عقوق الوالدين (3)

الحمد لله الذي خضعت لعظمته الرقاب، ولانت لقوته الصعاب، غافرُ الذنب وقابلُ التوب شديدُ العقاب، ذو الطول، ﴿لا إِلَهَ إِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد: 30].

لا اله إلا الله أحسن الأسماء وأجمل العبارات وأحلى الكلمات "الله" هل تعلمُ له سميا.

الله أسمٌ ما ذُكر في قليل إلا كثّره، و لا عند كربٍ إلا كشفه، ولا عند هم إلا فرّجه.

اسمٌ تُكشف به الكُربات، وتستنزل به البركات.. وتُقال به العثرات، وتُستدفع به السيئات..

يارب إليك توجهنا، وعليك توكلنا، واليك أنبنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخّرنا وما أسررنا وما أعلنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فسبحانه ما أحكمه.. وسبحانه ما أعظمه.. وسبحانه ما أعلمه!!. من تكلّم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما تلاحمت الغيوم، و عدد ما في السماء من نجوم.

أما بعد: - فاتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن.

عباد الله: لقاءنا يتجدد معكم وما زلنا وإياكم مع عقوق الوالدين وهذا اللقاء الثالث.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة» يقول: ما في الدنيا عمل أكثر قربة إلى الله من بر الوالدة: «الزم قدميها فثم الجنة».

واسمع إلى هذه القصة، التي لولا أنها ذُكرت في جريدة وتواترت على ألْسنة بعض الناس -والله- ما ذكرتها ولا قصصتها ولا كنت أظن أن من الناس من يفعل هذا، وسوف أتصرف في ذكرها فاسمعها -يا عبد الله- لتعلم أن هذا الشر مستطير، وأن هذا الفعل يوشك أن يؤذن لهذه المجتمعات بالعقوبة، وأن ينزل الله ﷻ عليها عذابه، بسبب ما يفعله كثير من الناس.

يقول الراوي: إنه خرج مع أسرته إلى شاطئ البحر، فلما وصل -هو وعائلته- يقول: رأينا عجوزاً على بساط على الشاطئ لوحدها، يقول: فجلسنا على الشاطئ، فتعشينا في الليل، يقول: ثم بعد العشاء تسامرنا، وأخذنا نلهو ونتحدث حتى حلَّ منتصف الليل، يقول: وأردنا الرجوع، فلما أردنا الرجوع قلت في نفسي: سبحان الله! ما بال هذه العجوز جالسة لوحدها؟! لم يأتها أحد،

ولم يقربها أحد، يقول: فلما قفلنا جئتها، فقلت لها -اسمع إلى هذا الخبر، واسمع إلى هذا العقوق- فقلت لها: يا أماه! خيراً إن شاء الله، أنت لوحدك وليس معك أنيس ولا جليس، فقالت هذه العجوز: إن ابني أتى بي إلى هنا، وقال لي: أن عنده عملاً سوف يذهب إليه ثم يرجع.

فقال لها: يا أُماه! الوقت متأخر فهلا رجعت معنا؟ قالت: لا. سوف أنتظر ابني ولو تأخر، فقد أخبرني أنه: سوف يتأخر وسوف يرجع.

قال: يا أماه! لكن الوقت متأخر جداً ولا أحد في هذا المكان. قالت: لن أرجع حتى يرجع ابني، وعدني أنه سوف يرجع، وأعطاني هذه الورقة.

قال: وما هذه الورقة؟ فقالت: اقرأها تعرف ما فيها.

فقرأتها فإذا في هذه الورقة: يُرجى ممن يقرأ هذه الورقة أن يأخذ العجوز إلى دار الرعاية.

لعن الله من لعن والديه، لعن الله من لعن والديه، فهذه في الكلمات فكيف إذا كانت في الأفعال؟! يرميها على شاطئ البحر ويقول: يُرجى ممن عثر على هذه العجوز أن يأخذها إلى دار الرعاية.

اسمع هذه الأم، والشاعر يتكلم بلسانها، وكأنها تقول:

لا تسبوا ولدي ما كنتُ رغم الغدر خصمه
إن لي في قلبه حُباً وليس الحب تهمه
هو طفلي وأنا أضمه مُذ كان لحمه
هو في الليل سميري وأنيسي في الملمه
فإذا خاف سكبت الأمن كي أُذهب همه
وإذا عاد تداعيت له صوتاً ونغمه
فأُناغيه بلحنٍ وأُناجيه بكلمه
ولدي ما عقّني بل فعْله بِرٌّ ورحمه
جاء بي للبحر كي أنعم في رملٍ ونسمه
فدعوه ولا تسيئوا الظن فيه بالمذمه
غاب عني لم يغب إلا لأمرٍ قد أهمه
هو مشغولٌ وللمشغول أعذارٌ وحُرمه
وسيأتي ولدي للدار إن أنهى المهمة
ولدي أعرفه من ذا الذي ينكر أمه

يا عبد الله! قال رسول الله -ﷺ-: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما فدخل النار**»[مسلم (16/ 108) البر والصلة والآداب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها].

أخي الحبيب:

هل فكَّرت أخي الكريم أن تدخل على أمك فتقبّل رأسها وتطلب العفو منها؟ أو أن تدخل على أبيك فتقبّل رأسه ويده وتطلب الصفح منه؛ وتطلب منهما أن يغفرا لك؟

عبد الله: هلا ذهبت إلى أمك، وإلى أبيك، فقبّل رأسيهما، ثم اطلب الصفح والعفو منهما؟

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: اسمع إلى هذا العاق وكم هم العاقون! وكم هم المجرمون بحق والديهم! هذا العاق رمى أمه في دار العجزة، ويكفيك أخي الكريم أن تزور دور العجزة في بعض الدول ولو مرة واحدة؛ لتسمع أخبار العاقين وأحوالهم، هذا الرجل رمى أمه العجوز في دار العجزة، وظل سنوات لم يزرها، وزمناً طويلاً لم يعرفها، حتى الاتصال لم يتصل بها، وحانت ساعة وفاتها، وأخذت في الاحتضار، فبكت ونادت المسؤولين، وقالت لهم: اتصلوا بولدي، اتصلوا بولدي، اتصلوا بولدي، أريد أن أضمه قبل أن أموت، أريد أن أقبله، أريد أن أعانقه قبل الموت.

ولدها مهما فعل تحبه، ولدها -والله- مهما عقها ومهما فعل بها فإن في قلب الأم حباً لولدها مهما فعل.

قالت: أُريد أن أضمه وأقبله قبل الموت، فاتصلوا بولدها، فقالوا له: إن أمك تحتضر، وتريد أن تراك وتقبلك، فقال هذا المجرم: ليس عندي وقت، وقتي ضيق، وعندي أعمال وتجارات وعقارات، ما عندي وقت، ثم أغلق الهاتف، ثم ماتت هذه الأم ولم تر ولدها، ماتت ساخطة عليه، فاتصل المسئولون بالولد فقالوا له: يا فلان! لقد ماتت أمك، لقد ماتت أمك العجوز، فماذا تظنونه يقول؟ قال: أكملوا الإجراءات وادفنوها.

هذا أبو هريرة رضي الله عنه – يبصر رجلين، فقال لأحدهما: من هذا منك؟ فقال: إنه فلان أبي، فقال: لا تسمه باسمه، ولا تناد أباك باسمه، فلا تقل: يا فلان! بل تسميه بصفته فتقول: يا أبي أو يا أبتاه. فيعتبر أبو هريرة هذا عقوقاً، وهذا من تمام البر أنك لا تسميه باسمه، قال: ولا تمش أمامه.

فانظر كيف وصلوا إلى البر، يقول: إذا مشيت فامش خلفه، تواضعاً واحتراماً ومن خفض الجناح بالذل له.

قال: ولا تجلس قبله.

إذا دخلت في مجلس وهو قائم فقم معه، ولا تجلس في مجلس قبله، انظروا كيف وصلوا إلى البر.

وهذا رجل -يا عبد الله- لا يصعد إلى الطابق الأعلى إذا كانت أمه في الطابق الأسفل، يقول: كيف أصعد على طابق وأمي تحتي، فهو يعتبر هذا من العقوق.

وذاك رجل لا يأكل مع أمه في صحن واحد، فيُسأل: لم يا فلان لا تأكل مع أمك في صحن واحد؟ فيقول: أخاف أن تمتد يدي إلى لقمة وأمي تنظر إليها، أخاف أن آكل لقمة وأمي قد اشتهتها.

انظر كيف وصلوا إلى البر، وانظر كيف أصبح الناس هذه الأيام في العقوق.

ويأتي رجل فيبايع النبي -ﷺ- على الهجرة، فيقول له: «**كيف تركت أبويك؟ فيقول: تركتهما يبكيان، فيقول له: ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما**».

ويأتي رجل يريد الجهاد فيقول له الرسول -ﷺ-: «**ألك أم؟ فيقول: نعم. قال: أتريد الأجر والمثوبة من الله؟ قال: نعم. قال: الزم قدمها فثم الجنة**».

ولنرجع إلى البيوت -يا عباد الله- فلنلزم أقدامهن، فهناك الجنة، وهناك الروح والريحان، وهناك الجنان، وهنالك الأنهار، وتلك هي القصور، فباب الجنة -يا عبد الله- عند قدم أمك؛ فكيف ضيعت ذلك الباب؟ وكيف فرطت في الجنة وأبوابها؟

واسمع إلى هذا العاق، هذا الرجل العاق كيف وصل به العقوق إلى هذه الدرجة، فهو يضرب به المثل، واسمه منازل، وهذا الرجل كان فاجراً عاصياً عاقاً لأبيه، أتاه أبوه يوماً من الأيام، فأمره بالطاعة، وأمره بالإحسان، وأمره بالاستجابة لله جلَّ وعلا، فهل تعرف ماذا فعل؟ لطم أباه على وجهه، فذهب أبوه يبكي، وقال: والله! لأحجن إلى بيت الله الحرام وأدعو عليه هناك، فحج الأب إلى بيت الله الحرام، وتعلّق بأستار الكعبة، ثم رفع يديه، فقال:

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا	أرض المهامه من قربٍ ومن بعد
إني أتيتك يا مـــن لا يخيب مـــن	يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمـــد
هذا منازل لا يرتد عن عققـــي	فخذ بحقي يا رحمان من ولـدي
وشل منه بحولٍ منك جانبـــــه	يا من تقدّس لم يولد ولم يلـــد

فما أنزل الأب يديه إلا وقد شل الله نصف جسد أبنه، وأصبح مشلولاً إلى أن مات: وصدق رسول الله -ﷺ- حين قال: «**ثلاث دعوات مستجابات -لا شك فيهن- وذكر منها: دعوة الوالد على ولده** » [سنن الترمذي: كتاب الدعوات، باب: ما ذكر في دعوة المسافر (3448) عن أبي هريرة ﷺ، وأخرجه أيضا أحمد (2/ 258، 348، 478، 517، 523)، وأبو داود في الصلاة، باب: الدعاء بظهر الغيب (1536)، وابن ماجه في الدعاء، باب: دعوة الوالد (3862)، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (2699)، والقرطبي في تفسيره (13/ 223)، وهو في صحيح سنن ابن ماجه (3115)].

إذا أردت الدعوة يا عبد الله، فاذهب إلى أمك، واذهب إلى أبيك، وسلهما دعوة صالحة، وسلهما دعوة خالصة.

أيها المسلمون، ولأن عقوق الوالدين ظلمٌ عظيم، فإن الله يعجل بعقوبة العاق في الدنيا قبل الآخرة، وإليكم هذه القصة الواقعية المؤلمة:

رجل خلّف ثلاثة أبناء، جمع الأموال، وبنا العمارات، وزوّج أبنائه الثلاثة من ثلاث أخوات، وكبر الأب، وماتت زوجته، فسكن مع أبنائه حتى بلغ من الكبر عتياً، ورد إلى أرذل العمر، وأصبح لا يعلم من بعد علمٍ شيئاً، فأبدت البنات حينها تضجراً وتذمراً من أبيهم، من أبي أزواجهم، وبعد إلحاح من الزوجات قرر الأبناء أن يذهبوا بأبيهم إلى الملجأ وهناك أخبروا المدير أنهما وجدوه في الطريق وأنه تبين لهم، أنه معتوه، فأتوا به إلى الملجأ يبتغون الأجر من الله، فشكرهم المدير على فعلهم الجميل، ولما خرجوا من الملجأ قالوا للحارس: إذا مات ذلك الشخص فاتصل بنا فنحن سنتبرع بأمور كفنه ودفنه لوجه الله، وعرضوا عليه جزءاً من المال إن هو اتصل بهم، وفي مساء ذلك اليوم أخذا الأب المسكين ينادي زوجات أبنائه:

يا فلانه، يا فلانه، هاتوا الإبريق لأتوضأ، فقال له رجل بجواره: من فلانة هذه، إنك في ملجأ المسنين، وهنا أفاق الرجل ورد الله إليه عقله، فأخذ يسأل: من أتى بي إلى هذا المكان؟ فقيل له: ثلاث رجال شهامٍ كرام، فلما عرف صفاتهم، قال: هؤلاء أبنائي، ثم طلب اللقاء مع مدير الملجأ، ثم تبرع للملجأ بمعظم ما يملك من عقارات وعمارات، وأحضر مدير التسجيل؛ لأنه رفض أن يخرج من الملجأ إلا ميتاً، وصُدّق على الأوراق، واشترط أن يخرج جميع الساكنون من عماراته ولو عرضوا دفع الإيجار، ثم ما لبث الرجل أن مات بعدها بيومين، إذ لم يحتمل الصدمة، وسمعه جيرانه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويقول: اللهم اشهد إني غاضبٌ عليهم، اللهم كما حرمتهم من نعيم الدنيا فاحرمهما من نعيم الآخرة، اللهم لا ترني وجوههم في الآخرة إلا وهي ملتهبة بالنيران، اللهم، اللهم. حتى فارق الحياة.

اتصل الحارس بالأبناء، فجاءوا مُسرعين، وبعد أن دفنوه عادوا فرحين كي يتقاسموا الإرث، فإذا بالشرطة قد سبقتهم تبلغهم بمغادرة الشقق؛ لأنها أصبحت في ملك الملجأ، فلما تحققوا من الأمر طلبوا البقاء على أن يدفعوا الأجرة، فقالت الشرطة: هناك شرط بعدم البقاء ولو دفعتم مليونا، فنظر الرجال والنساء لبعضهم نادمين كلٌ يلقي اللوم على الآخر، وأُخرجوا وقد خسروا دنياهم، وأما جزائهم في الآخرة فعلمها عند ربي.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

عقوق الوالدين (4)

نحمده تبارك وتعالى على كل ما منح أو سلَب... ونعوذ بنور وجهه الكريم من العناء والنصَب...

ونسأله الخلود في دار السلام حيث لا لغو ولا صخَب...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وإليه المنقلب. هو المالك.. وهو الملك يحكم ما يريد فلا تعقيب ولا عجَب، وأشهد أن خاتم المرسلين هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب... نطق بأفصح الكلام.. وجاء بأعدل الأحكام.. وما قرأ ولا كتب... آية الآيات.. ومعجزة المعجزات. فيا رب يا أكرم مسئول.. ويا خير مرتجىً ومأمول.. صلّ على سيد الأعاجم والعرب... على الصحب ومن تبع وكل من إليه انتسب... ما لاح في الأفق نجم أو غرّب..، وبعد:

عبد الله: اتقوا الله واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخ في الصورِ، ويُبعث من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يومَ تُبلَى السرائرَ، وتُكشَفُ الضمائرُ ويتميزُ البرُ من الفاجر.

هذا هو اللقاء الرابع مع عقوق الوالدين!

يا تُرى ما هي أسباب العقوق ولما يكثر العقوق؟

لعقوق الوالدين أسباب كثيرة:

أول هذه الأسباب الجهل؛ فالجهل داءٌ قاتل، والجاهل عدو لنفسه، فإذا جهل المرء عواقب العقوق العاجلة والآجلة، وجهل ثمرات البر العاجلة والآجلة قاده ذلك إلى العقوق، وصرفه عن البر.

ثانياً: سوء التربية: فالوالدان إذا لم يربيا أولادهما على التقوى، والبر والصلة، وطلب المعالي – فإن ذلك سيقودهم إلى التمرد والعقوق.

ثالثاً: التناقض: وذلك إذا كان الوالدان يُعلمان الأولاد، وهما لا يعملان بما يعلمان، بل ربما يعملان نقيض ذلك، فهذا الأمر مدعاة للتمرد والعقوق. فإذا سمع الولد أباه يتكلم عن البرّ بينما يمكث الأيام الطوال لا يعرف عن والديه شيئاً، ولا يتصل بهما، ولا يأمر أبناءه بذلك، فإن هذا سيكون له انعكاسات نفسية على الأبناء ولا بد.

رابعاً: الصحبة السيئة للأولاد: فهي مما يفسد الأولاد، ومما يجرؤهم على العقوق كما أنها ترهق الوالدين، وتضعف أثرهم في تربية الأولاد.

خامساً: عقوق الوالدين لوالديهم: فهذا من جملة الأسباب الموجبة للعقوق؛ فإذا كان الوالدان عاقين لوالديهم عوقبا بعقوق أولادهما – في الغالب – وذلك من جهتين:

أولاهما: أن الأولاد يقتدون بآبائهم في العقوق.

ثانيهما: أن الجزاء من جنس العمل.

سادساً: قلة تقوى الله في حالة الطلاق: فبعض الوالدين إذا حصل بينهما طلاق لا يتقيان الله في ذلك، ولا يحصل الطلاق بينهما بإحسان. بل تجد كل واحد منهما يغري الأولاد بالآخر، فإذا ذهبوا للأم قامت بذكر مثالب والدهم، وبدأت توصيهم بصرمه وهجره، وهكذا إذا ذهبوا إلى الوالد فعل كفعل الوالدة.

والنتيجة أن الأولاد سيعقون الوالدين جميعا، والوالدان هما السبب.

سابعاً: من أسباب العقوق التفرقة بين الأولاد: فهذا العمل يورث لدى الأولاد الشحناء والبغضاء، فتسود بينهم روح الكراهية، ويقودهم ذلك إلى بغض الوالدين وقطيعتهما. ولذلك يقول النبي -ﷺ-: «**اتقوا الله و اعدلوا في أولادكم**» [صحيح، أخرجه أحمد (4/ 275)، وأبو داود في: البيوع، باب: في الرجل يفضل بعض ولده في النحل (3544)، والنسائي في: النحل (3687). وأصله البخاري في: الهبة للولد (2586)، ومسلم كتاب: الهبات، باب: كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (1623)].

ثامناً: قلة إعانة الوالدين لأولادهما على البر: فبعض الوالدين لا يعين أولاده على البر، ولا يشجعهم على الإحسان إذا أحسنوا. فحق الوالدين عظيم، وهو واجب بكل حال.

لكن الأولاد إذا لم يجدوا التشجيع، والدعاء، والإعانة من الوالدين - ربما ملوا، وتركوا بر الوالدين، أو قصروا في ذلك.

تاسعاً: سوء خلق الزوجة: فقد يُبتلى الإنسان بزوجة سيئة الخلق، لا تخاف الله، ولا ترعى الحقوق، فتجدها تُغري الزوج، بأن يتمرد على والديه، أو يخرجها من المنزل، أو يقطع إحسانه عنها؛ ليخلو لها الجو بزوجها، وتستأثر به دون غيره، رُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خرج علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن مجتمعون فقال: « **يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم، إياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي، إياكم وعقوبة الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم** »[رواه الطبراني في الأوسط].

أيها المسلمون: العاق يُحرم من كلمة التوحيد عند الموت، لا يثبت عند الموت بلا اله إلا الله، روى الطبراني بسندٍ ضعيف عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: { كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فأتاه آتٍ فقال: شاب يجود بنفسه قيل له: قل لا إله إلا الله فلم يستطع، فقال كان يصلي؟ فقال نعم، فنهض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له قل لا إله إلا الله، فقال لا أستطيع، فقال لم؟ قال كان يعق والدته، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أحية والدته؟ قالوا نعم، قال ادعوها، فدعوها فجاءت، فقال هذا ابنك؟ فقالت نعم. فقال لها أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له؟ قالت يا رسول الله إذن أشفع، قال

فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه، قالت اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله -ﷺ-: « **يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقالها، فقال رسول الله -ﷺ- الحمد لله الذي أنقذه بي من النار** »

أيها المسلمون: اعلموا أن البر والعقوق دَين ووفاء، فإذا أطعت ـ أيها المسلم ـ والديك أطاعك أولادك، وإذا أكرمت والديك أكرمك أولادك، وبالعكس إذا توليت عن والديك وأعرضتَ عنهما سلط الله عليك من ذريتك من لا يراعي فيك عهدا ولا يحفظ لك ودًا ولا يقيم لك وزنًا ولا يعرف لك حقّ أبوّة ولا واجب بنوّة، جاء في الحديث: «**بُروا آباءكم تبركم أبناؤكم**»[مجمع الزوائد 1/ 35].

كما تدين تُدان اسمع إلى هذا الرجل الذي كبر أبوه فتأفف منه، فهل تعرف ماذا فعل؟ أخذ أباه على دابة -على جمل- وذهب به إلى الصحراء، فلما جاء في وسط الصحراء، قال الأب لهذا الولد،: يا بني! أين تريد الذهاب بي؟

قال: يا أبي! لقد مللتك، ولقد سئمتك. قال: وماذا تريد؟ قال: أريد أن أذبحك.

فقال: يا بني! ماذا تقول؟ قال: أريد أن أذبحك لقد مللتك يا أبي! فقال له: إن كنت ولا بد فاعلاً فاذبحني عند تلك الصخرة. قال: ولم يا أبي؟ قال:

فإني قد قتلت أبي عند هذه الصخرة، فاقتلني عندها وسوف ترى من يقتلك من أبنائك عند هذه الصخرة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: 123] الجزاء من جنس العمل.

بر والديك، فسوف يأتي من أبنائك من يبرك، أو عقهما فسوف يأتي من أبنائك من يعقك، ها هو رجل عاق لوالديه يجر أباه برجله إلى الباب فهيأ الله له ولداً أعق منه كان يجره برجله إلى الشارع، فكان إذا جر أباه إلى الباب قال: حسبك حسبك ما كنت أجر أبي إلا إلى هذا المكان، فيقول له ولده: هذا جزاؤك، وما زاد فهو صدقة عليك. هذا في الدنيا والآخرة علمها عند الله ﷻ.

وهذا ابنٌ آخر يصفع والده على وجهه، فيبكى الوالد ويرتفع بكاءه، فيتألم الناس لبكاء هذا الشيخ الكبير، وينقض مجموعة من الناس على هذا الابن العاق ليضربوه، فيشير إليهم الوالد ويقول لهم: دعوه. ثم بكى وقال: والله منذ عشرين سنة، وفى نفس هذا المكان صفعت أبى على وجهه!! العقوق دَينٌ لابد من قضائه.

هذا رجل تقول له أمه: يا بني! اذهب بي إلى فلانة أريد أن أزورها، فيقول هذا الرجل: لا أستطيع! فترجته أمه، قالت: يا بني أريد أن أزورها دقائق معدودة، قال: فنعم إذاً، ولكني سوف آتيك بعد ثلاثين دقيقة بالضبط، وأضرب زمور السيارة، قال: فإن لم تخرجي ذهبت وتركتك.

اسمع كيف يُعامل أمه، واسمع كيف يهددها، واسمع كيف ينذرها، تباً له وتعس، فذهب هذا الرجل، وأوصل أمه، وبعد ثلاثين دقيقة بالضبط، أتاها فضرب الزمور، مرة أو مرتين فما خرجت، فذهب وولى وتركها، تركها لوحدها، فإذا به في أثناء الطريق يصاب بحادث فيجلس في المستشفى ستة أشهر لا يستطيع أن يتحرك.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان يا عبد الله؟! هل هذا هو الإحسان إلى والديك؟! هل هكذا تبرهما؟!

يقول لك الأب: أريد حاجة، وتقول لك الأم: أريد حاجة من السوق، أو تذهب بي إلى فلانة، فتقول: لا أستطيع، عندي عمل! سبحان الله أين بر الوالدين؟! أنسيتهما وضيعت حقهما؟!

ها هو شاب في زمنٍ ليس ببعيد وفي قرية ليست بالبعيدة، كان يرعى الغنم لأبيه، ورأى تهافت الشباب على السفر والانخراط في السلك العسكري، فطلب من أبيه أن يسمح له ليذهب معهم، فرفض الوالد ذلك، حاول مراراً فلم يأذن له، قال الشاب: سأذهب أذنت أم لم تأذن، قال: أما القوة فما لي عليك من قوة، لكن مالي عليك إلا سلاح أوجهه في وقت السحر، وجاء يوم من الأيام وترك هذا الشاب غنمه مع أحد أقرانه، وذهب إلى إحدى قريباته فزودته بما يحتاجه المسافر وذهب إلى سفره، وعلم الأب –

وكان صالحاً تقياً- بسفره بدون إذنه، فرفع يديه إلى الحي القيوم وسأل الله ﷻ أن يريه فيه ما يكره، فعمي الولد وهو في الطريق، واستقبله بعض أفراد قبيلته في الطائف وسألوه: ماذا تريد؟ قال: كنت أريد الوظيفة أما الآن فأعمى لا يقبل مثلي في الوظيفة، أخذوه وجاءوا به إلى أبيه، وعندما دخل عليه البيت وهو في الليل -ووالده قليل البصر. وهذا الشاب أعمى- فقال أبوه: أفلان أنت؟ قال: نعم. قال: هل وجدت السهم؟ قال: نعم والله. لكن الأب الحنون حزن حزناً عظيماً، وتأثر تأثراً كبيراً، وكان يود لو كانت في غير عينيه، وقام ليلته يبكي ويئن يركع ويسجد ويلحس بلسانه عين ولده ويدعو الله ﷻ، والله قريب مجيب، فما قام لصلاة الفجر حتى عاد لولده البصر، فحمد الله كثيراً.

لا إله إلا الله! دعوة الوالد مستجابة يا عباد الله، فاجعلوها في الدعوة إلى ما يسركم في الحياة وفي الممات.

يا أيها الآباء: لا تدعوا على أولادكم ولا على أنفسكم ولا على أموالكم فتصادف ساعة إجابة من الله فتندمون حين لا ينفع الندم.

لا إله إلا الله ما أعظم بر الوالدين! ما أحوجنا إلى الدعاء منهم، ما أحوجنا إلى رضاهم، ما أحوجنا إلى برهم وصلتهم، علَّ الله أن يكتب لنا بذلك الرضوان، لكننا مع عظيم الأسف نرى البعض كأنه ليس بحاجة لدعائهم.

رجل له أُمٌ بلغت من العمر العتي حتى وصلت إلى أرذل العمر وأصبحت مثل المجنونة تلعب لعب الأطفال.

وإذا بزوجته الخبيثة توسوس في إذن زوجها وتقول له: أمك أشغلتنا وأذتنا بلعبها ووسخها. قال: ما الحل هي أمي. فقالت له الخبيثة: أمك تصعد إلى الدور الرابع في السطح تلعب فاصعد إليها وما هي إلا ضربة واحدة وتسقط إلى الشارع ويقول الناس مجنونة سقطت، فهل سيفعل ذلك الابن اللعين؟ نعم لقد تحول إلى شرٍّ من الشيطان وصعد إلى أمه وهي تلعب في السطح فلما رأته ابتسمت تظنه جاء يعطيها شيء، تظنه جاء يلاعبها، تظنه جاء يمازحها؛ ولكن المجرم جاء ليقتل من حملته وأرضعته وواسته وأحسنت إليه وغسلت الأذى عنه.

فقذفها إلى الشارع وسقطت ميتة، وشيّعها الناس وابنها بين الباكين؛ مع أنه القاتل ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: 42]

مرت الأيام ومرض الابن مرضا أصابه بالخبل والجنون وتركته زوجته فكيف تعيش مع زوج مخبول، وسبحان الله كان يلعب في نفس المكان الذي كانت تلعب فيه أمه ولم يقذفهُ أحد بل رمى بنفسه ولم يسقط إلى الشارع؛ بل سقط في البلكونة ميتاً وظل ثلاثة أيام حتى شم الجيران رائحته الخبيثة، هذا جزاءه في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد.

يا أبناء الإسلام، رضا الوالدين وبرهما سبب في حلول الفَرَج إذا بلغت الشدة غايتها وتسهيل العسير وتحقق الأماني، وقصة أصحاب الغار برهان على ذلك. الولد البار ـ يا أبناء الإسلام ـ يهنأ بعمره ويطمئن في عمله، وتحفه السعادة من كل جانب.

نصائح عاجلة سريعة:

عباد الله: مما يعين الابن الزوج على التوفيق بين والديه وزوجته ما يلي:

أ – مراعاة الوالدين وفهم طبيعتهما: وذلك بألا يقطع البر بعد الزواج، وألا يبدي لزوجته المحبة أمام والديه – خصوصاً إذا كان والداه أو أحدهما ذا طبيعة حادة؛ لأنه إذا أظهر ذلك أمامهما أوغر صدورهما، وولد لديهما الغيرة خصوصاً الأم. كما عليه أن يداري والديه، وأن يحرص على إرضائهما، وكسب قلبيهما.

ب – إنصاف الزوجة: وذلك بمعرفة حقها، وبألاّ يأخذ كل ما يسمع عنها من والديه بالقبول، بل عليه أن يحسن بها الظن، وأن يتثبت مما قال.

ج – اصطناع التودد: فيوصي زوجته – على سبيل المثال – بأن تهدي لوالديه، أو يشتري بعض الهدايا ويعطيها زوجته؛ كي تقدمها للوالدين – خصوصاً الأم – فذلك مما يرقق القلب، ويستل السخائم، ويجلب المودة، ويكذب سوء الظن.

د – التفاهم مع الزوجة: فيقول لها – مثلا – إن والديَّ جزء لا يتجزأ مني، وإنني مهما تبلد الحس عندي فلن أعقهما، ولن أقبل أي إهانة لهما، وإن حبي لك سيزيد وينمو بصبرك على والدي، ورعايتك لهما.

كذلك يُذكّرها بأنها ستكون أُماً في يوم من الأيام، وربما مر بها حالة مشابهة لحالتها مع والديه؛ فماذا يرضيها أن تعامل به؟

كما يذكرها بأن المشاكسة لن تزيد الأمر إلا شدةً وضراوة، وأن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، وهكذا

عبد الله: إن قُلت لي: إن لي والدين قد توفيا، فاسمع لهذا الأثر، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «**تُرفع للميت بعد موته درجته، فيقول: –أي بعد الموت لما يلقى الله، ويرى درجته عالية في الجنة وله منازل رفيعة في الجنة، وهو لم يفعل شيئاً في الدنيا– فيقول: أي ربي! أي شيء هذا؟ –هذه الدرجات والأعمال أي شيء هذا يا رب؟ – فيقول: ولدك استغفر لك**».

أعلاي الحبيب: أُدع لوالديك: اللهم اغفر لي ولوالدي، أُدع لهما في السجود وفي السحر وبين الأذان والإقامة وفي أي وقت يستجاب فيه الدعاء، ادع لهما بالمغفرة: فمن الباقيات بعد الموت « **ولدٌ صالح يدعو له** » وعليك بكثرة الصدقة عنهما، فإن الصدقة مقبولة، عن الأحياء والأموات، وإن اعتمرت أو حججت عن نفسك، فإنه يشرع لك –يا عبد الله– ويجوز لك أن تعتمر عنهما وتحج عنهما.

يا عبد الله: إياك إياك أن تنساهما ولو ماتا! هذا نوح عليه السلام يقول: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨﴾ [نوح: 28]

وهذه قصيدة في حنان الأم لم أر قصيدة أروع منها، فقد وفّق الشاعر أيما توفيق، وهي مؤثرة للغاية، وهي قصيدة تعبيرية تصويرية ليست حقيقية، لكنها والله معبرة:

قال الشاعر:

أغرى امرؤٌ يوماً غلاماً جاهلاً بنقوده كي ما ينال به الضرر

رجل عنده مال، أغرى طفلاً صغيراً بنقوده، كي ما ينال به الضرر.

قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ولك الدراهم والجواهر والدرر

يقول له: اذبح أمك واعطني قلبها ولك الدراهم والجواهر والدرر.

فمضى (مضى هذا الطفل)

فمضى وأغرز خنجراً في صدرها والقلب أخرجه وعاد على الأثر

لكنه من فرْط سرعته هوى فتدحرج القلب المقطع إذ عثَر

سقط القلب من يد الابن وهو يركض بسرعة. ناداه قلب الأم وهو معفرٌ (بالتراب والدم)

ناداه قلب الأم وهو معفر ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر؟!

فكأن هذا الصوت رغم حنوه (رغم أنه رقيق)

فكأن هذا الصوت رغم حنوِّه غضب السماء على الغلام قد انهمر

فارتد نحو القلب يغسله بما فاضت به عيناه من دمع العبر

حزَناً وأدْرك سوء فعلته التي لم يأتها أحدٌ سواه من البشر

لقد فاق من غفلته وندم، وقرر أن يقتل نفسه بنفس الخنجر:

واستل خنجره ليطعن نفسه طعناً فيبقى عبرةً لمن اعتبر

ويقول: يا قلب، ينادي قلب أمه:

ويقول يا قلب انتقم مني ولا تغفر فإن جريمتي لا تغتفر

ناده قلب الأم كف يداً ولا تذبح فؤادي مرتين على الأثر

إني أدعوكم جميعًا ـ أيها المسلمون ـ أن لا تخرجوا من هذا المسجد المبارك إلا وقد عاهدتم الله أنه من كان بينه وبين والديه شنآن أو خلاف أن يصلح ما بينه وبينهم، ومن كان مقصرًا في بر والديه فعاهدوا الله من هذا المكان أن تبذلوا وسعكم في بر والديكم، ومن كان بارًا بهما فليحافظ على ذلك، وإذا كانا ميتين فليتصدق لهما ويبرهما بدعوة صالحة أو عمل صالح يهدي ثوابه لهما.

اللهم أعنا على بر والدينا، اللهم وفق الأحياء منهما، واعمر قلوبهما بطاعتك، ولسانهما بذكرك، واجعلهم راضين عنا، اللهم من أفضى منهم إلى ما قدم فنور قبره، واغفر خطأه ومعصيته، اللهم اجزهما عنا خيرًا، اللهم اجزهما عنا خيرًا، اللهم اجمعنا وإياهم في جنتك ودار كرامتك، اللهم اجعلنا وإياهم على سُررٍ متقابلين، يسقون فيها من رحيق مختوم، ختامه مسك.

هذا وصلوا على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

منزلة السنة النبوية

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾ [الكهف: 1]

الحمد لله منّ علينا ببعثة النبي الكريم، وهدانا به إلى الصراط المستقيم، وأنقذنا به من الضلال المبين والعذاب الأليم. أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ إنعامه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي قال الله فيه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128]

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله حق تقاته واعملوا لطاعته ومرضاته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:102]

نعيش وإياكم مع سنة النبي -ﷺ-.

نعيش وإياكم مع السنة ومكانتها.

نعيش وإياكم مع المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

نعيش مع السنة ومكانتها يوم أن سمعنا من يستهزئ بالسُنّة ورواة السنة.

نعيش وإياكم مع السنة يوم أن سمعنا من ينادي بترك السنة والعمل بالقران فقط.

عباد الله:

اعلموا أن الله قد أنعم علينا بنعمتين عظمتين، هما من أثبت وأشرف النعم، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ ٢٣١﴾ [البقرة: 231]

فالنعمة الأولى التي ذكرها الله تعالى هي نعمة إنزال القرآن، فالقرآن ـ عباد الله ـ هو النعمة الباقية والعصمة الواقية والحجة البالغة والدلالة الدامغة، وهو شفاءٌ لما في الصدور والحكَم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحرٌ لا يُدرك غورُه، بهرت بلاغتُه العقولَ، وظهرت فصاحته على كل قول ومقول،قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: 15، 16].

إنه كتاب ربنا، هذا الكتاب الذي بين أيدينا، نزهه ربنا عن الخطأ والزلل، وجعله فصلاً في كل أمر، وصالحًا في كل زمان ومكان، قال تعالى عنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: 42]

وقد وعد الله بحفظ كتابه من عبث العابثين وتحريف الغالين، فقال جل وعل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9]، فالقرآن محفوظ من التبديل والتغيير، ولا يزال إلى وقتنا الحاضر محفوظًا بسوره وآياته وكلماته وحركاته، كما تلاه جبريل على رسول الله، وكما تلاه رسول الله -ﷺ- على صحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

وأما النعمة الثانية المذكورة في الآية الكريمة فهي نعمة الحكمة، والمراد بها السنة، فقد وردت السنة في القرآن الكريم بلفظ الحكمة في آيات عديدة، ووردت مقرونة بالكتاب أي: بالقرآن، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: 34]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 129].

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: « ذكر الله منته على خلقه؛ بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز ـ والله أعلم ـ أن يُقال الحكمة ها هنا إلا سُنة رسول الله».

عباد الله:

هدَى الله نبينا محمَّدًا -ﷺ- إلى أحسَن الهَدي، ويسَّره لأحسنِ السّبل وأسهل المناهج، قال الله تعالى لنبيّه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾[الأعلى: 8]، وروى مسلمٌ من حديث جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعة ضلالة**».

وقد وفَّى النبيّ -ﷺ- مقاماتِ العباداتِ كلَّها ومراتبَ الدّين، وفضائل الأعمال والخصال المحمودة والأخلاق المرضية، قد وفَّى هذه الأمورَ كلَّها حقَّها، وأتى بالغايةِ في ذلك كلِّه، فرسول الله هو القدوةُ للعابد، والقدوةُ للداعية، والقدوة للمعلِّم، والقدوةُ للحاكم، والقدوة للقائد، والقدوةُ للجنديّ، والقدوةُ للزّوج وللأب، والقدوةُ في المعاملات وفي كلّ حالٍ يتقلّب فيه الإنسان، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]

ولقد جمعت سنةُ رسول اللهَّ -ﷺ- الفضائل كلّها والخيراتِ والكمالاتِ كلَّها، فمن عمل بالسنة فقد جمع الله له الخير كله، ومن ترك السنةَ فقد حُرم الخيرَ كلَّه، ومن ترك بعضَ السنة فقد فاته من الخير بقدرِ ما ترك من السنة النبوية.

السُنّة عباد الله هي كل ما شرعه النبي -ﷺ- من أحكام، سواءً بقوله أو فعله أو تقريره.

وإنه من الخطأ أن تُفهم السنة بمعنى المستحب فقط، كما يفهمها عامة الناس؛ يعني: إن فعلت أُجرت، وإن لم تفعل لم تأثم. والحق والصواب أن السنة تشمل الأمر والنهي، منها ما هو واجب تأثم على تركه، ومنها ما هو محرّمٌ تأثم على فعله، ومنها ما هو مستحب.

والسنة ـ عباد الله ـ هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله تعالى، وفي الإعراض عنها ضلال وهلاك، كما ورد في أحاديث النبي -ﷺ-، فبعض الناس يظن أن الحلال والحرام في القرآن فقط، فإذا قلت له: قال رسول الله كذا، أو حرم كذا، أو بين كذا، قال لك: وهل هذا في القرآن؟ أعطني آية من القرآن تذكر هذا.

ها هي امرأة تسمع أن ابن مسعود رضي الله عنه يلعن النامصة لحواجبها ويلعن المتفلجة تُفرّق بين أسنانها، فجاءت إليه وقالت له: سمعت أنك تلعن النامصة والمتفلجة فقال ومالي لا ألعن من لعن النبي -ﷺ- وذُكر في كتاب الله. فقالت لم أجد ذلك في كتاب الله فقال أما سمعتِ قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: 7].

والرسول أخبرنا أن أُناسًا من أمته سيأتون من بعده، يردون أحاديثه وسنته، ويقتصرون على القرآن، فقد روى الترمذي في سننه بسندٍ صحيح عن أبي رافع أن المصطفى -ﷺ- قال: «**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه أمر مما أَمرت به، أو نَهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»، وقال في رواية أخرى: «**ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**»، ثم قال النبي -ﷺ- معقبًا على كلام هذا الرجل: «**وإنما ما حرّم رسول الله كما حرّم الله**».

فردُّ سنة النبي -ﷺ- وتشريعاته ضلال وهلاك، قال أيوب السختياني أحد كبار الفقهاء (ت -131هـ): «**إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا، وحدثنا من القرآن، فاعلم أنه ضال مضل**» [أثر أيوب، إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في " معرفة علوم الحديث "، ص: 65، و الخطيب في " الكفاية "، ص: 49، و الهروي في " ذم الكلام " (208) من طرق عن الأوزاعي، عن مخلد بن الحسين، عنه].

نقول لمن ينكرون السنة: كيف عرفتم عدد ركعات الصلاة وصفاتها وما يجب فيها، إلا عبر الحبيب محمد وسنته.

كيف عرفتم الزكاة ومصارفها وما يجب فيها، إلا بشرح ووصف الحبيب محمد -ﷺ- وسنته.

كيف عرفتم الحج ومناسكه وما يجب فيه، إلا من طريق الحبيب محمد -ﷺ- وسنته.

ولولا السنة لم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات وما أوجب الله فيها من الحدود والعقوبات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

عباد الله: إن رسول الله -ﷺ- شرَع أحكامًا وحرم أمورًا لم تُذكر في القرآن، وفصل أمورًا نحن نطيعه فيها ولم تُذكر في القرآن.

فاتقوا الله عباد الله، وتمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه محمد، فهما طريق السعادة الأبدية وسبيل النجاة في الدنيا والآخرة، فهما مدار الإسلام ورحاه، وما منْ عبد يحيد عنهما إلا كان من الخاسرين وكانت النار مأواه.

أيُّها الناس: إنَّ اللهَ ﷻ قد ربطَ بينَ طاعتِهِ وطاعةِ نبيِّهِ في آياتٍ كثيرةٍ فقالَ تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران: 32]، وقالَ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب: 71]، وقال تعالى: و﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[آل عمران: 132]طاعة الله ورسوله مفتاح من مفاتيح رحمة الله

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور: 54]

وقدْ جعلَ اللهُ سبحانَهُ اتباعَ الرسولِ سبيلاً إلى نيلِ حبِّهِ ووسيلةً لتحقيقِ رضاه وحصولِ غفرانِهِ فقالَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران: 31].

وبينَ لنا جلَّ شأنُهُ بعضَ العواقبِ الوخيمةِ في الدنيا والآخرةِ لمنْ خالفَ أمرَ نبيِّهِ فقالَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور: 63]

وجعلَ الخروجَ ولوْ مرةً عنْ حدِّ الاتباعِ والانقيادِ والتسليمِ للرسولِ ضلالاً واضحًا وانحرافًا لا شكَّ فيهِ فقالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب: 36].

معصية واحدة للنبي -ﷺ- في غزوة أُحد كلّفت المسلمين سبعين شهيداً؛ فكيف ونحن نخالف رسول الله عشرات المخالفات وكيف وفينا من ينكر السنة ورواتها.

وهكذا تجدونَ ـ يا عبادَ اللهِ ـ أنَّ الدعوةَ إلى القرآنِ الكريمِ والأمرَ باتباعِهِ وتدبرِهِ هيَ في نفسِ الوقتِ دعوةٌ إلى السنةِ بكلِّ معناها الشاملِ الثابتِ عن رسولِ الله -ﷺ-، ولهذا بيّنَ لنا رسولُ اللهُ أنَّ اتباعَهُ سببٌ في دخولِ الجنةِ، وأنَّ الابتعادَ عنِ اتباعِهِ ـ على أيِّ وجهٍ كانَ ـ سببٌ لدخولِ النارِ فقالَ: «كلُّ أمتي يدخلونَ الجنةَ إلا مَنْ أبى»، قالوا: يا رسولَ اللهِ ومن يأبى؟ قالَ: «منْ أطاعني دخلَ الجنةَ، ومنْ عصاني فقدْ أبى» [أخرجه البخاري عن أبي هريرة].

أيها المسلمون: ولقد وكل الله تبارك وتعالى مهمة تفسير القرآن وبيانه للناس إلى رسوله، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: 44]

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: 64] وبيان النبي -ﷺ- لكتاب الله والذكر الذي جعله الله هدى ورحمةٌ للمؤمنين هو بوحي من الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: 3، 4].

ولهذا امتن الله تعالى – وله الفضل والمنة – بذلك على هذه الأمة السابقين منهم واللاحقين ببعثته، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2].

فمن فضل الله ورحمته علينا أن بعث إلينا عبده ورسوله محمدًا، وأنزل عليه الكتاب ليتلو علينا آياته، ويعلمنا الكتاب والحكمة التي هي السنة؛ يبيّن بها معاني القرآن، ويفصل أحكامه، ويبشر وينذر ويهدي بها إلى صراط مستقيم، كل ذلك فضل من الله على هذه الأمة ورحمة بها، والله ذو الفضل العظيم.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

نهاية العام

الحمد لله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، سخر الشمس والقمر كُلٌ يجري لأجلٍ مسمى ألا هو العزيز الغفار، أحمده سبحانه وهو الواحد القهار، والصلاة والسلام على خير البرية القائل -ﷺ-: «**مالي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» [رواه الترمذي وقال حديث حسن.]. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، وتزودوا بعملٍ صالح تفرحون به ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ﴾ [آل عمران: 30]

اليوم هو الثاني من شهر محرم من العام الهجري الجديد، الله ما أسرع مرور الأيام والشهور والأعوام؛ وفي ذلك عبرةً للمعتبرين وذكرى للمتذكرين، وآياتٌ للمستبصرين، سنوات تمضي على العباد، وأياماً وشهوراً تنقضي من الأعمار، والعاقل من اغتنم حياته بالطاعات وعمره بالحسنات.

وما أنت يا ابن آدم إلا أيام إذا ذهب يومك ذهب بعضك، وكما ودّعنا عاما هجريا سيأتي اليوم الذي يودعنا فيه أهلنا وتنتهي أعمارنا، فاللهم أحسن ختامنا يارب العالمين.

أيها المسلمون: أما آن للأمة أفراداً ومجتمعات أن تدرك وهي تدخل عاماً هجرياً جديداً، أن ما أصابها من ضيق وكروب وأزمات وحروب سببها المعاصي والذنوب؛ فالمعاصي سبب من أسباب الذل والمهانة، سبب الهلاك والدمار و البوار وضيق الرزق وظلمة القلب وغضب الجبار والتعاسة في الدنيا والآخرة.

وصدق الله القائل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: 30]، والقائل: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران: 165]

أخلاق المسلم: هل فكرت يوماً وأنت تحاسب نفسك كم صعد لك من الأعمال الصالحة؟ من صلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ وقراءة للقرآن، وذكرٍ لله تعالى وفعل خير ونصرة مظلوم، إنها الأيام تمر وإنه العمر ينقضي، وخير الناس من طال عمره وحسُن عمله كما جاء في حديث النبي المصطفى -ﷺ-: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه**»

[أخرجه الترمذي في صفة القيامة (2417) من حديث أبي برزة ﷺ، وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (136)، وانظر تخريجه في السلسلة الصحيحة (946)].

العام انقضى كل يوم خمس صلوات يعني في العام الماضي (1800) صلاة؛ كم منها صليت جماعة؟ وكم قصّرت فيها وكم نمت عن صلاة؟

اليوم(24)ساعة (1440) دقيقة في العام أكثر من نصف مليون دقيقة كم قضيت فيها لله وكم للدنيا وكم للشهوات؟؟ لا إله إلا الله كم نضيّع من ساعات وأيام في لهوٍ وسهو وستأتي لحظات نتمنى اللحظة والدقيقة نعمل فيها صالحاً، قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾ [المؤمنون: 100]

عباد الله: إن بقاء المرء يوماً واحداً نعمة وهبة من الله فكيف بأشهر وأعوام يتزود منها خيراً كثيراً، وزاداً عظيماً.

بداية عام جديد، نحن أمام صفحة بيضاء نقية صافية، الله الله لا نسودها بالكبائر والإصرار على الصغائر.

الله الله لا نسوّدها بالمعاصي بالكبر والتعالي.

الله الله لا نسوّدها بالتقاطع والتدابر بسبب شؤون حقيرة.

الله الله لا نسوّدها بالعداوات بسبب ظنون سيئة وتهم باطلة.

لا إله إلا الله فها هو عامنا الهجري الثامن والثلاثون بعد الأربعمائة وألف قد جمع أطرافه ولملم أوراقه وربط أحزمته ثم ودعنا راحلاً بما حوى بين جنباته من أفراح وأتراح وآلام وآمال.

فكم سعُد فيه من أُناس وكم شقي فيه من آخرين، كم مات فيه من أشخاص وكم ولد فيه من آخرين، كم من دمعات انحدرت فرحاً باللقاء، وكم من عبرات سُكبت من لوعة الفراق..

مرّت سنون بالوئام وبالهنـــاء ... فكأنها من قصرها أيـــــام
ثم أعقبت أيام سوءٍ بعدهـا ... فكأنها من طولها أعـــــوام
ثم انثنت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأننا أحـــــــلام
لكل شيء إذا ما تم نقصـــان ... فلا يغر بطيب العيش إنســـان
هي الأمور كما شاهدتهـــــا ... دولٌ من سرّه زمنٌ ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحدٍ ... ولا يدوم على حالٍ لها شـــانُ

يا أبناء العشرين! كم مات من أقرانكم وتخلفتم؟!

ويا أبناء الثلاثين! أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم؟

ويا أبناء الأربعين! ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم!!

ويا أبناء الخمسين! تنصفتم المائة وما أنصفتم!!

ويا أبناء الستين! أنتم من المنايا قد أشرفتم، أتلهون وتلعبون؟ لقد أسرفتم!!

ويا أبناء السبعين! ماذا قدمتم وماذا أخرتم!!

يا أبناء الثمانين! لا عذر لكم.

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر:2]...﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: 16]

أخي في الله: التوبة التوبة قبل حلول الأجل وقطع الأمل قال رسول الله -ﷺ-: « **إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » [رواه الترمذي (3537)، وابن ماجه (4253) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما].

في بداية العام أحق الناس بالنصح أُنفسنا، وأولاهم بالصدق ذاتنا لا نذهب بعيداً، فلنخاطبها بأصدق العبارات وأنصحها:

يا نفس: هذه الأعوام والشهور والأيام تتفلت من بين يدي سريعا، ولو تأملتيها بعين النصح واليقين لأصبحتِ غير مصدقة لسرعتها، ولا مستيقنة بمضيها.

يا نفس: لو كنت تعقلين، وعلى الواقع تشهدين لعرفت حقيقة الدنيا وأنها لحظات، سرعان ما تزول وتتفلت لحظاتها من أيدينا.

كم عمرك اليوم عشرون أو ثلاثون أو قد بلغت الأشد وهو الأربعون وأخشى أنك قد قربت الخمسين أو ربما حطيت رحالك قُرب المنايا وبلغت الستين، بالله يا نفس أليست قد مرت سريعة؟ وانقضت مهرولة؟

يا نفس: ألم تشهدي موت قريب أو صديق كان دونك في العمر؟

ألم توارِ جثمان طفل رضيع لم يبلغ الحُلم؟

كم خلّفت خلفك في المقابر من فتاة نضرة؟ ودفنت بعدك شاب قد امتلئ بالقوة؟

يا نفس هذه قبورهم شاهدة عليهم، وآثارهم حاكمة بفنائهم، أُتراك بعدهم تُخلّدين؟ أم أنك للموت تستبعدين!!!

يا نفس: قد وعدك الله الصادق الكريم - وهو أوفى من وعد - أنك إن اغتنمت هذه الحياة القصيرة أن تحيي حياةً كريمة لا تعرفين فيها الكدر، ولا تشعرين فيها بالنكد، فكيف تفرطين في عيش رغيد، وملك عظيم، ونعيمٍ لا ينتهي، بحياة مليئة بالغصص، وعيش قد عبئ بالنكد.

يا نفس: إنّ غمسة في الجنة تُنسي كل ضيق وهم وبؤس مر بأبأس أهل الدنيا، فكيف إذا كان هذا النعيم متزايد على مر اللحظات، ومضاعف على مضي الساعات.

وبالمقابل غمسة في دار الهوان تُنسي أنعم أهل الغرور كل سرور ذاقوه، وكل نعيم اغترفوه، فكيف بآلام لا تنتهي، وغصص لا تنقضي؟

افرحي يا نفس لأنك في زمان الإمكان فغداً ستكون عندك أُمنية الرجوع ولكن بغير هذا الحال – فسينقطع الرجوع وتغلق دونه الأبواب.

يا نفس: كوني رحيمة بي فوربي إنني على عذاب الله لا أقوى ولسخطه لا أطيق.

يا نفس إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

في بداية العام الهجري الجديد نرسل همسات ورسائل من القلب.

الهمسة الأولى: إلى كل مسلم بينه وبين أخيه شحناء وخصومة في بداية العام الجديد نصفي قلوبنا أعمالنا لا تُرفع.

الهمسة الثانية: إلى كل من له أبوين كبيرين أحدهما أوكلاهما أن يحرص على برهما.

الهمسة الثالثة: إلى كل أبٍ أن يتقي الله في أولاده، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 6].

الهمسة الرابعة: إلى كل صاحب مال إذا أردت السعادة والعافية فاحرص على الصدقة، قال رسول الله -ﷺ-: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»

[السنن الكبرى (3/ 382) عن ابن مسعود ﷺ، وأخرجه أيضا الطبراني في الأوسط (1963) والكبير (10/ 128)].

وقال -ﷺ-: «**صنائِعُ المعروف تقِي مصارعَ السوء، وصدَقَة السِرّ تطفِئ غضَبَ الربِّ**» [أخرجه الطبراني في الكبير (8/ 261) عن أبي أمامة ﷺ، قال المنذري في الترغيب (2/ 15) والهيثمي في المجمع (3/ 115): "إسناده حسن"].

الهمسةُ الخامسة: إلى كلِّ من ولاَّهُ الله أمراً من أمورِ المسلمين - أمراً خاصاً أو عاماً -تذكر أنَّ اللهَ سائلُك.. تذكَّر أنك ستقفُ في محكمةٍ يقضي فيها الله - جلَّ الله -، إنَّ هذه الأمانةِ التي تولَّيتها إما أن تكونَ ممراً لكَ إلى الجنة.. وإما أن تُبعِدَك عنها - والعياذُ بالله - فاتَّق الله فيما تولَّيت.. واسأل ربَّك الإعانة والتوفيق.. فإنه خيرُ معين.

الهمسةُ السادسة: إلى المجاهدينَ في سبيل الله الرافعين لواء الحق الذين هدفهم إعلاء كلمة الله في كل مكان – حُيِّيتم، وسُدِّدتم، ووُفِّقتم، وأعانكمُ الله ونصرَكم.. لكمُ منَّا الدعاء، هنيئاً لكم الجهاد والرباط.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

[آل عمران: 169]

نقول لهم: هذا الظلامُ الفجورُ سينجلي.. ويُسفرُ صُبحٌ بديعُ المُحيَّا.. هذا الليلُ الحالكُ سينقشِع.. وتشرقُ شمسٌ هادئةٌ رقراقة.. إنَّ موعدَ الفرجِ قريبٌ فلا تجزعوا.. أسألُ الله أن ينصرَكم.. وأن يكُفَّ بأسَ الذين كفروا عنكم.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: 139]

الهمسةُ السابعة: إلى من أطلقَ قلمه ولِسانه في النيلِ من ذلك العالِم.. أو التحريضِ بذلك الداعية.. أوِ الانتقاص من تلكَ الشعيرة الدينية.. أو لمزِ العفةِ والطهرِ والفضيلة.. نقولُ لهم: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾

[الزُّخرف: 19]

وما مِن كاتبٍ إلا سيفنى ... ويُبقي الدهر ما كتَبت يداهُ

فلا تكتُب بكَفِّكَ غيرَ شيءٍ ... يسُرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

القلوب وقسوتها (1)

الحمد لله الرؤوف الرحيم، البر الجواد الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك العظيم، له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والإحسان العميم، وله الرحمة الواسعة، والحكمة الشاملة، وهو العليم الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4]

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه، الذين هُدُوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

أمّا بعد:

أيّها الناس، اتَّقوا الله تعالى حقَّ التقوى، وراقبوه في السر والعلن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: 102].

اتّقوا ربَّكم، فتقوى الله سببٌ لمحبَّةِ الله لكم والله يحبّ المتقين.

نعيش وإياكم مع أشرف شيء في هذا الإنسان.

مع سفينة النجاة إلى الجنة. مع المضغة التي لو صلحت صلح سائر الجسد.

إنه القلب أمير البدن بلا منازع كل البدن وكل خلية محتاجة إليه.

إنه أشرف ما في الإنسان هو محل الإيمان والفرقان.

إنه القلب الذي سلامته شرط لدخول الجنة قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: 89]

القلب السليم الذي سلم من كل شيء إلا من عبودية الله. السليم من كل شرك وحقد وحسد وبغضاء.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل: 32]

سلامٌ عليكم طبتم، طابت قلوبكم طابت أخلاقكم طابت ألسنتكم طابت أرزاقكم فدخلتم دار الطيبين.

هذا القلب ينبض في الدقيقة(70)نبضة ويضخ(5) لتر دم.

وفي اليوم ينبض ألف نبضة ويضخ (7200) لتر دم.

واذا عاش الإنسان(70)عام يكون قد نبض القلب(3) مليار نبضة وضخ (200)مليون لتر من الدم فسبحان الخالق وتبارك الله أحسن الخالقين.

من القلوب قلب كقبور الموتى ظاهرها الزرع والورد وباطنها الجيف والموت، أو كبيتٍ مظلم على سطحه سراج وباطنه ظلام.

القلب اذا لم يتعاهده صاحبه بذكر الله وطاعته وخشيته يمرض وتغزوه المعاصي.

القلب هو موضع الانقلاب والتحول وما سمي القلب قلبٌ إلا لتقلبه، وقد كان -ﷺ- يدعو ويقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: { كان رسول الله -ﷺ- يقول: يا مقلّب القلوب، ثبت قلبي على دينك قلت: يا رسول الله إنك تدعو بهذا الدعاء قال: **يا عائشة، أو ما علمت أن قلب ابن آدم بين أصابع الله، إذا شاء أن يقلبه إلى الهدى قلبه، وإن شاء أن يقلبه إلى الضلالة قلبه**» [أخرجه الترمذي في القدر (2066).]

يا عجباً من ناس يبكون على من مات جسدهُ ولا يبكون على من مات قلبهُ وهو أشد!

قال ابن القيم -رحمه الله-: «أطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فان وجدت خشوعا وانكساراً وإقبالاً فاحمد ربك على قلبك؛ فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك».

أيها المؤمنون: القلوب أنواع أولها وعلى رأسها القلب الحي:

الصفة الأولى للقلب الحي: إذا ذُكر الله وجل وخاف.

أيحضر القلب عند ذكر الحبيب ولا يحضر عند ذكر المجيب؟! أتخشع الجوارح لذكر المخلوق ولا تبالي بذكر الخالق؟! أينقطع الفؤاد كمداً لغياب فانٍ وزائل ولا يبالي بهجران باقٍ ودائم؟!

أحياء القلوب إذا تُليت عليهم آيات الرحمن خروا سُجّداً وبُكيا صُماً وعُميانا

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: 2]

القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته بالتقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه:

المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة..

ثانياً: صاحب القلب الحي له في كل شيء عبرة.

صاحب القلب الحي إذا رأى ظلمة حسبها ظلمة القبر، وإذا وجد لذة ذكر نعيم الجنة، وإذا صرخ من ألم خاف عذاب النار، وإذا شمَّ شواء ذكر جهنم، وإذا رأى ضاحكا على معصية رقَّ لحاله في الآخرة، وإذا رأى مطيعاً على فاقة استبشر بنعيمه في الجنة.

كان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- من أرباب القلوب الحية وكان واقفاً مع سليمان بن عبد الملك، فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل، فقال عمر وهو المعتبر المتدبر بكل ما حوله: «**هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه؟** »!

ومثله الحسن البصري الذي روى عنه سلام: " أُتي الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى؛ وقال: ذكرت أمنية أهل النار؛ قولهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[الأعراف:50]، وذكرت ما أُجيبوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: من الآية 50].

وصاحب القلب الحي إذا وفّقه الله لطاعة سأل نفسه: بأي عملٍ صالح أثابني الله بهذه الطاعة؟ أبدعوةٍ إلى خير، أم بصلاة ليل، أم بسعيٍ في حاجة مسلم، أم بعفو عن مسيء أم بإنظار معسر؟

وصدق -صلى الله عليه وسلم- حين قال: « **لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر** »، بل وأكّد أن المصائب والأحزان في الدنيا جزاءها حسنات.

ثالثاً: صاحب القلب الحي حلو اللسان. نعم كذب من أدعى سلامة قلبه ولسان بذيء يسب ويشتم ويغتاب وينهش في أعراض المسلمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يرفع الله بها درجات** » [رواه البخاري رقم (6478) في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم رقم (2988)في الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار، والموطأ (2/ 985) في الكلام، والترمذي في الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس].

نعم فاللسان يغرف من القلب والمومن وصفه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **مثل المؤمن مثل النحلة؛ لا تأكل إلا طيبا ولا تضع إلا طيبا** ».

رابعاً: من صفات صاحب القلب الحي أنه غزير الدمع يبكي شوقاً وقلقا، قال عبد الواحد بن زيد:

« يا إخوتاه! ألا تبكون شوقاً إلى الله؟ ألا إنه من بكى شوقاً إلى سيده لم يحرمه النظر إليه.

يا إخوتاه! ألا تبكون خوفا من النار؟ ألا إنه من بكى خوفا من النار أعاذه الله منها..

يا إخوتاه! ألا تبكون خوفاً من العطش يوم القيامة؟ ألا إنه من بكى خوفاً من ذلك سُقِي على رؤوس الخلائق يوم القيامة..

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

حي القلب قد يبكي من الأذان: كان أبو زكريا النهشلي إذا سمع النداء تغيَّر لونه وأرسل عينيه فبكى، فسُئل عن ذلك فقال: أشبِّهه بالصريخ يوم العرض، ثم غُشي عليه.

حي القلب قد يبكي من الوضوء. كان عطاء السلمي إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا، فيُقال له في ذلك فيقول: " إني أريد أن أُقدِم على أمر عظيم.. أريد أن أقوم بين يدي الله ﷻ ".

حي القلب تُبكيه الذنوب وقد يبكيه خوف سوء الخاتمة اللهم احسن ختامنا يارب العالمين.

خامساً: صاحب القلب الحي همومه أُخروية:

قال -ﷺ-: «**من أصبح وهمه الدنيا فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتبَ له، ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي رغمه**»[الترمذي في سننه ج4/ ص642 ح2465، انظر حديث رقم: 6516 في صحيح الجامع].

صاحب القلب الحي إن فاته ورده من قرآن أو صلاة وجد لفواته ألماً أشد من فوات ماله، وتقلَّب بالليل على فراش كالجمر، فما عسانا نقول لمن ليس له ورد بالأساس؟! بل ماذا عسانا نقول لمن إذا فاتته الصلاة المفروضة لم يجد ألماً ولا حسرة؟

صاحب القلب الحي لا لا يخشى إلا الله، فلا خوف من بشر ولو كان جائرا، ولا من حدثٍ ولو كان قاهرا، ولا خوف على رزق أو أجل، ولا خوف على ولد أو متاع.

قال الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: 173]

امتثلوا أمر ربهم الذي طمأن قلوبهم بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:44] ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: 13]. ولا يخاف أحداً غير الله إلا لمرض في قلبه.

أما القلب القاسي قال مالك بن دينار [1] -رحمه الله-: « **إن لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضُرِب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب** » [حلية الأولياء:6/ 287]، وأكَّد على نفس المعنى حذيفة المرعشي [2] فقال: « **ما أُصيب أحد بمصيبة أعظم من قساوة قلبه** »[[صفة الصفوة 4/ 476].]..

---

(1) مالك بن دينار(000 - 131 هـ = 000 - 748 م)
مالك بن دينار البصري، أبو يحيى: من رواة الحديث. كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحب بالأجرة. توفي في البصرة.
(2) من أهل مرعش كان أحد العباد المذكورين، صحب سفيان الثوري وروى عنه. روى عنه يوسف بن أسباط وابن أبي الدرداء ونبهان بن المغلس، والفيض بن اسحق، ومحمد بن أبي الورد، واشتغل بالعبادة عن الرواية.

إن القلوب تقسو فتكون أشد من الحجارة، أو أشد قسوة فتبتعد عن الله وعن رحمته فأبعد القلوب عن الله القلب القاسي الذي لا ينتفع بتذكير ولا يلين بموعظة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ٧٤﴾ [البقرة: 74].

قاسي القلب يموت أقرب الناس إليه ولا يتأثر، وحي القلب يموت أبعد الناس عنه ويخشع لموته، بل قد يقسو القلب في وقت ويلين في آخر، فحي القلب نفسه تمر به حالات قساوة، فيسمع الآية من كتاب الله فيبكي، ويسمع قوارع الآيات في يوم آخر ولا يتأثر، لأنه سمع الأولى حال سلامة قلبه والثانية حال قساوته، وقد تأتيه الموعظة فتسري في جسده كتيار الكهرباء في يوم، وتنزل عليه في اليوم الذي يليه كما تنزل على عمود الرخام!! والسبب قلبه، وقد تجود يداه بالصدقة حيناً وتمسك أنامله عليها أحايين كثيرة وكأنها صخرة، والسبب أيضاً قلبه.

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

القلوب وقسوتها (2)

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر وفطر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر، فسبحانه من الهٍ عظيم لا يُماثل ولا يُضاهى ولا يُدركه بصر وتعالى من قادرٍ محيط لا تنجي منه قوةٌ ولا مفر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من جحد به وكفر، شهادةً ندخرها ليومٍ لا ملجأ فيه ولا وزر، شهادةً نرجو بها النجاة من نار لا تُبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر وعلى آله وصحبه السادة الغرر الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده فما وهى عزم أحدهم ولا فتر.

أما بعد: أيها الناس..

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 281].

اتقوا يومًا الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقيل.

عباد الله: ما زلنا وإياكم مع القلوب وقسوتها؛ والنار خُلقت النار لإذابة القلوب القاسية. وأبعد القلوب من الله القلب القاسي.

وإذا قسا القلب قحطت العين.

كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام أو الشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ.

القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلُّقها بها.

القلوب آنية الله في أرضه، فأحَبُّها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.

إذا غُذِّيَ القلب بالتذكر، وسُقي بالتفكُّر، ونُقي من الدغل رأى العجائب، وأُلهم الحكمة.

خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.

الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهب على القلب يُرَوِّح عنه وهج الدنيا.

من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق.

لا تدخل محبة الله في قلبٍ فيه حُب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة.

إذا أحب الله عبداً، اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته، فشغل همه به، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته.

ما هي أسباب تليين القلوب؟

فمن أعظم أسباب تليين القلوب:

أولاً: قراءة القرآن واستماعه قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[ق: 37].

وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[ق: 45].

وقال الله –تعالى–: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزُّمر: 23]

ثانياً: ومن أعظم ما يلين القلوب: تذكر الموت وزوال الدنيا والانتقال إلى الدار الآخرة، ومن أعظم ما يُقسّي القلوب الغفلة عن الآخرة ونسيان الموت والانشغال بالدنيا، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: 185]

ومما يلين القلوب: ثالثاً: الإكثار من ذكر الله -عز وجل- ومن أعظم ما يقسّيها الغفلة عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

[الأنفال: 2].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: 28].

عباد الله: من علامات القلب القاسي احتلال الدنيا للقلب؛ فإن تحرك فللدنيا أو تكلم أو قام أو قاتل للدنيا، ،وفي الحديث الصحيح قال -ﷺ-: «تعس عبد الدينار. تعس عبد الدرهم. تعس عبد الخميصة. تعس عبد القطيفة» [أخرجه البخاري (7/ 175)].

ومن علامات القلب القاسي انتكاسة الفطرة فتراه يعشق الحرام وعنده الحلال، ويحب سماع الحرام واذا سمع ذكر الله ضاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزُّمر: 45]

فهذا عاشق أحب سوداء فأحب لحبها جنس السواد حتى أحبّ سود الكلاب فأنشد شعراً:

أُحب لحبها السودان حتى أُحب لحبها سود الكلاب

وآخر عشق عشقاً حراماً قبيحا. عشق غُلاما اسمه أسلم فأنشد فيه أشعاراً تحدث الناس بها وازداد غرامه به حتى مرض مرضاً شديدا، وجاءه الناس ينصحونه أن هذا حرام ولا يجوز لا يليق بمسلم أن يفعل ذلك فأنشد وهو على فراشه:

أسلم يا راحة العليل ويا شفاء البدن النحيل

حبك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

فقال له رجل: ويحك اتق الله ما فعلت؟ فقال هذا ما سمعتم فتوسطوا وسمعوا صرخة خرجت معها روحه.

نـــعوذ بالله من سوء الخاتمة.

من أين تأتي قسوة القلب؟

قسوة القلب نابعة من ستة أشياء: **أولها كثرة الأكل**.

روى أسد بن موسى من حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أكلت ثريدا بلحم سمين فأتيت النبي -ﷺ- وأنا أتجشأ، فقال: « **كفَّ عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة** » [السلسلة الصحيحة، رقم 343].

وقال أبو سليمان الداراني-رحمه الله-[1] : « **من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وحرمان الشفقة على الخلق؛ لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل**».

بل أوصى الحسن البصري كل من ضاع خشوعه والتمس دموع الخشية فلم يجدها؛ أوصاه بهذه الوصية العملية المُجرَّبة واقعيا فقال: « **من أراد أن يخشع قلبه ويغزر دمعه فليأكل في نصف بطنه**».

---

(1) أَبُو سُلَيمان الدَّاراني(000 - 215 هـ = 000 - 830 م)
عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل داريّا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده. كان من كبار المتصوفين. له أخبار في الزهد. من كلامه: (خير السخاء ما وافق الحاجة).

فالمطلوب منك على الفور إذن **ثلاثة أمور**:

أولا: نية صالحة لكل لقمة تؤكل، حتى يتحوَّل الطعام إلى عبادة، ويُغذِّي روحك مع جسدك.

الثاني: قلة الأكل، وهي ما قال عنه النبي -ﷺ-: «**ثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه**»، وعلامة ذلك أن تفارق المائدة وأنت لا تزال جائعاً، وهو معنى قوله: « **وإذا أكلنا لا نشبع** ».

ثالثا: الصيام انتصاراً لروحك على شهوة الأكل.

ومن أسباب قسوة القلب كثرة النوم:

النوم كالملح لا بد من قليل منه في الطعام، لكن زيادته مضرة وتجعل طعم الحياة غير مستساغ، وفي كثرة النوم: ضياع العمر، وفوت التهجد، وبلادة الطبع، وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر، وكيف يكثر النوم في هذه الدنيا من ينتظر أطول رقدة له في القبر؟! وكيف يُسرِف أحد في النوم وهو أخو الموت من الرضاع؟! يا من قساوة قلبه أشد من الحجر..

ومما يعين على قلة النوم: النوم على الشق الأيمن، وقراءة أذكار النوم، آية الكرسي وغيرها.

ومكافأة عظيمة لمن نام وهو يذكر ربه نقلها لنا أبو أمامة رضي الله عنه فقال:

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « **مَن أوَى إلى فِراشِهِ طاهرًا يذكرُ اللهَ تعالى حتَّى يدركَهُ النُّعاسُ لم يتقلَّبْ ساعةً من اللَّيلِ يسألُ اللهَ شيئًا من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ إلَّا أعطاهُ إيَّاهُ** »[أخرجه الترمذي (3526)، والطبراني (8/ 147) (7568)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (719)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

ثالثاً من أسباب قسوة القلب كثرة الكلام:

قال بشر بن الحارث -رحمه الله-[1]: « **خصلتان تقسيان القلب: كثرة الكلام وكثرة الأكل** ».

قال عمر رضي الله عنه: « **من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه** ».

رابعاً: من أسباب قسوة القلب كثرة المخالطة، والمقصود بها: مخالطة المرضى والاحتكاك بأموات القلوب ومعايشة قُساة المشاعر الإيمانية، والمبيت وسط من يذكِّرونك بالدنيا وليس لهم من الآخرة نصيب، وهؤلاء يجرونك نحو النار جرا ويوصدون في وجهك أبواب الجنة والصديق سائق إلى الجنة أو النار، لذا قصَّ الله تعالى علينا في القرآن قصة يوم الندم فقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: 27-28].

---

(1) بِشْر الحافي (150 - 227 هـ = 767 - 841 م) بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها. قال المأمون: لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[الأنعام: 68]فإذا كان هذا التحذير للنبي -ﷺ- وهو أطهر القلوب وأنقاها وأشرفها وأزكاها؛ بل وأبعدها عن التأثر بما يتأثر به غيره، فكيف بغيره؟! بل لما ذهب إلى عُرس من أعراس الجاهلية ألقى الله على عينيه النعاس صيانةً له وحفظا. فإذا وجدت الصالحين يهربون منك ولم تجد حولك غير قُساة القلوب، فاعلم أنك أنت السبب، فلا يدخل الضوء مكانا حتى يطرد الظلام، ولا يملأ العسل وعاءً مُلئ بالعلقم.

خامساً من أسباب قسوة القلب كثرة الذنوب:

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورث الذلَّ إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانها

قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا أذنب العبد ذنبا نكتت فيه نكتة سوداء، فإذا تاب وندم واستغفر صقل قلبه**» [رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني].

سادساً من أسباب قسوة القلوب أكل الحرام:

ومن هنا أفتاك إبراهيم بن أدهم [1] بما يلي: « أطب مطعمك؛ ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار».

قال عبد الله بن المبارك: «ردُّ درهم من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف؛ حتى بلغ إلى ستمائة ألف ».

وأخيراً سفيان الثوري الذي فضح آكلي الحرام المتستِّرين بالتصدق منه ببعض الإحسان، فعرَّفهم حقيقة ما صنعوا بمثلٍ واضح فاضح فقال: «من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهَّر الثوب النجس بالبول، والثوب النجس لا يطهِّره إلا الماء، والذنب لا يكفِّره إلا الحلال ».!!

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

(1)بنُ أَدْهَم (000 - 161 هـ = 000 - 778 م)
إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز.وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة. وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه. ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفن (حصن من بلاد الروم).

أبناؤنا والقرآن (1)

الحمد لله الذي علا وقهر، وعز واقتدر، وفطر الكائنات بقدرته فظهرت فيها أدلة وحدانية من فطر، فسبحانه من إلهٍ عظيم لا يُماثل ولا يُضاهى ولا يُدركه بصر، وتعالى من قادرٍ محيط لا تُنجي منه قوةٌ ولا مفر.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من جحد به وكفر، شهادة نرجو بها النجاة من نار لا تبقي ولا تذر.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد البشر، وعلى آله وصحبه السادة الغرر، الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده فما وهى عزم أحدهم ولا فتر.

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن وتمسكوا بما شرع الله لكم من الدين القويم، وأعلموا أن طاعة الله فيها السلامة والنجاة وفيها الرفعة والعزة وإياكم والمعاصي فإنها توجب اليم العقاب ووبيل العذاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: 102]

عباد الله، صلاحُ الأبناء والبنات أمنيّةٌ للآباء والأمهات، صلاح الأولاد ذكورهم وإناثِهم نعمةٌ عظيمة ومنّة جليلة من رب العالمين. ما أسعدَ المسلم وهو ينظر إلى أولاده قد هداهم الله الطريقَ المستقيم ورزقهم الاستقامة على الدين والهدى، يحبهم ويحبونه، يودّهم ويودّونه، إن أمرهم أطاعوه، فهم يبرّون به، ويطيعونه، وينفّذون أوامره في طاعة الله، قرّت بهم عينه، وانشرح بهم صدرُه، وطابت بهم حياته، تلك نعمة عظيمة من الله. أولادٌ رُبُّوا تربية صالحةً، هُذِّبت أخلاقهم، حسُن سلوكهم، طابت ألفاظهم، حسُنت معاملتهم لربهم قبل كل شيء، ثم للأبوين، ثم للإخوان والجيران والأرحام والمسلمين عمومًا. رُبُّوا على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، فصاروا عونًا للأبوين على كلّ ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم.

أيّها المسلمون، ولعظيم هذا الشأن نرى أنبياءَ الله وخيرته من خلقه يسألون الله لذريَّتهم الصلاح والهداية، قال تعالى عن الخليل عليه السلام وهو يدعو ربَّه بتلكم الدعوات: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ [إبراهيم: 40]، أي: اجعل من ذريتي من يصلي ويزكي، وها هو زكريا عليه السلام ينادي ربه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: 38]، وها هم المؤمنون كما أخبر الله عنهم أنهم يقولون في دعائهم:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[الفرقان: 74]، وها هو الرجل الصالح الذي أنعم الله عليه بنعمه يتذكَّر نعم الله عليه ويقول شاكرًا لنعم الله شاكرًا لآلائه وإفضاله:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: 15]

أيها المسلم، هؤلاء الأولاد متى أحسنتَ تربيتهم نِلتَ بهم السعادة في الدنيا والآخرة، واسمع نبيَّك إذ يقول: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفَع به، أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم (رقم 1631 في الوصية، باب ما يلحق الإنسان بعد وفاته)]. فأنت في ظلمات الألحاد تصل إليك دعواتُ أولئك الأبرار الأخيار، يسألون الله لك ويدعون الله لك، وأنت في لحدك قد انقضى عملك، وأصبحت فريدًا في لحدك وحيدًا، تتمنَّى مثقال ذرة من خير، وإذا الدعوات الصادقة الصادرةُ من الأبناء والبنات الذين طالما غرستَ الفضائل في نفوسهم، وحبَّبت الإيمان إلى قلوبهم، فدعواتهم تصعد إلى الله لك بالمغفرة والرضوان والتجاوز، فما أنعمها من حالٍ وما أطيبه من فضل، هكذا التربية الصالحة ونتائجها الحميدة وثمارها المباركة.

عباد الله: إن طفلاً في جوفه القرآن، أو شيئاً من القرآن، أو طفلاً يُحِبُّ القرآن لهو نورٌ في الأرض يتحرك وسط الظلام الأخلاقي الذي يسود أيامنا الحالية، وصِرنا نخشى اتساع رقعته في الأعوام القادمة.

هنيئاً لبيتٍ يحوي حافظاً للقرآن ومبارك لدارٍ يُتلى فيه القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- اعتبر زمانه زمان فِتن لأن الريح كشفت جزءاً من كعب امرأة رغماً عنها، ورآه هو عن غير قَصد... فماذا نقول عن زماننا؟!!!!! الذي فيه فتنٌ وشهوات تموج موج البحر بل كيف نتصور حال الزمان الذي سيعيشه أبناؤنا؟!!

هل أتاكم خبر ذاك الشاب الذي قتل أمه نعم قتل أمه التي حملته وأرضعته أطلق عليها رصاصة غادرة!!

تقدمت الأم تزحف إلى أقدام هذا المجرم تقول له أنا أمك التي حملتك وتعبت من أجلك تقتلني؟ قال نعم ثم أرداها قتيلة.

هل أتاكم خبر عصابات للسرقة والنهب فبعد القبض عليهم تبين أنهم أطفال معهم رئيس عصابة وأفراد للعصابة يقلّدون المسلسلات. أتاكم خبر غلمان صغار انتحروا نعم انتحروا.

هل أتاكم خبر الجوالات التي يحملها أبناؤنا وما فيها من أشياء قد يستحي الشيطان من رؤيتها.

كل هؤلاء هم ضحية تربية خاطئة وضياع وإهمال من الوالدين والمَخرج من هذه الفِتن هو التمسُّك بكتاب الله، وسُنَّة نبيه ﷺ، وفهمهما على المنهج السليم كما فهمها سلفنا الصالح بلا غلو ولا تنطع.

لماذا نحبب أبنائنا في القرآن؟

فما أحرانا بأن نحبِّب القرآن إلى أبناءنا لأسباب عديدة،

أولاً: لعل القرآن يشفع لنا ولهم يوم القيامة، وروى مسلم عن أبي أُمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**».

ثانياً عسى القرآن أن ينير لهم أيامهم، ولعل الله ينير بهم ما قد يحل من ظلام حولهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: 52]

ثالثاً نحبب أبنائها في القرآن لنكون وإياهم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته كما جاء عن النبي -ﷺ-.

ولا أنسى قصة ذلك الغلام الذي أرسلته أمه لحفظ القران، فقد روي أن امرأة أرادت أن يحفظ ابنها القرآن، ولم يكن في قريتهم من يُعلّم القرآن؛ فأرسلته إلى قرية بعيدة، وكانوا فقراء لا يملكون المال، وصل الغلام إلى المعلم فوجد الحلقة مكتملة وقال له: لا مكان لك فيها؛ فحزن الغلام وعاد إلى قريته فأدركه الليل في الطريق فأستند إلى شجرة ونام فرأى الرسول -ﷺ- في المنام.

فأخبره بما حدث له مع المعلم فقال له رسول الله -ﷺ- ارجع إلى الشيخ وقل له: يقول لك رسول الله حفظني القرآن، فقال له الغلام: قد لا يصدقني. فقال له رسول الله: بأمارة زُمرا زُمرا.

استيقظ الغلام وعاد إلى منزل الشيخ وقرع الباب فجرا ففتح له الشيخ وقال له: لم عدت؟ قال له الغلام: يقول لك رسول الله -ﷺ- حفظني القرآن بأمارة زمرا زُمرا فبكى الشيخ وأكرم الغلام وجعل له مكانا في الحلقة.

فسأله الغلام يا معلمي ما قصة زمرا زُمرا، فقال له الشيخ رأيت النبي -ﷺ- في المنام فسألته: كيف يدخل أهل القرآن الجنة؟ فقال لي: زمراً زمرا.

رابعاً: نحبب أبناءنا لأن القرآن يجيء روى الترمذي والحاكم بسندٍ حسن عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلِّه ـ يعنى صاحبه ـ، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب، زده، فيُلبَس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب، ارض عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ وارتق، ويزداد بكل آية حسنة**».

ولك أن تتأمل هذا المشهد العجيب، وتتأمل تلك الحفاوة العظيمة التي تتلقى حافظ القرآن ووالديه معه يوم القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرك، وإن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب، أنّى لنا هذا؟ فيقال: بتعليم ولدكما القرآن**» [رواه الطبراني وصححه الألباني]، وفي رواية أحمدَ عن بريدة: «**ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ**».

إنهم أولى الناس بشفاعة القرآن؛ لأنهم أكثر الناس تلاوة له.

خامساً: نحبب أبنائنا وأنفسنا في القرآن -لأن القرآن الكريم هو عقل المؤمن، ودستور حياته، فهو كلام الله لذا فإن أبنائنا إذا أحبوه تمسَّكوا بتعاليمه، ومن ثمَّ لم يضلّوا أبداً...

سادساً: لأن القرآن الكريم هو خير ما يثبِّت في النفس عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وخير ما يسكُب في القلب برد الطمأنينة والرضا، وخير ما يمكن أن نُناجي به مولانا في هدأة الأسحار.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

نحبب أبنائنا في القرآن سابعاً: لأن القرآن الكريم إذا تبوَّأ مكانةً عظيمة في نفوس أطفالنا شبُّوا على ذلك، ولعل منهم مَن يصبح قاضياً، أو وزيراً، أو رئيساً، فيجعل القرآن العظيم له دستوراً ومنهاجاً، بعد أن ترسَّخ حبه في نفسه منذ الصِّغَر.

ثامناً: لأن حب الطفل للقرآن يعينه على حفظه، ولعل هذا يحفظ الطفل، من شرور الدنيا والآخرة، وإنما أيضاً من بذاءات اللسان.... ففمٌ ينطق بكلام الله ويحفظه يأنف، ويستنكف عن أن ينطق بالشتائم والغيبة والكذب وسائر آفات اللسان.

أيها المؤمنون: إن حافظ القرآن الكريم يستحق التكريم والإجلال: فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» [سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم 4/ 261].

فحقٌّ لمن حاز كلام الله تعالى في صدره أن يُكرَم ويُجَلَّ، وحافظ القرآن أولى الناس بالإمامة في الصلاة التي هي ثاني أركان الإسلام، قال -ﷺ-: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**» [رواه مسلم برقم 673].

إن الغبطة الحقيقية والحسد المحمود إنما يكون لمن حفظ القرآن الكريم وقام بحقه قال رسول الله -ﷺ-: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل..**» [أخرجه البخاري في العلم (73)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (816) من حديث ابن مسعود وابن عمر f

عباد الله: حفظ القرآن وتعلمه خيرٌ من متاع الدنيا، فحين يفرح الناس بالدرهم والدينار ويحوزونها إلى رحالهم، فإن حافظ القرآن وقارئه يظفر بخير من ذلك وأبقى، ها هو -ﷺ- يخاطب أهل الصُفّة قائلاً: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم**» فقالوا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خيرٌ له من ناقتين، وثلاث خيرٌ له من ثلاث، وأربع خيرٌ له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل**» [رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (803).]. ولنتذكر أن الإبل أنفس أموال العرب في ذلك الزمان.

أيها الآباء: كونوا عون لأبنائكم في حفظ القرآن فإن في حفظ القرآن رفعة في الدنيا والآخرة ونجاة من النار، قال -ﷺ-: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**» [أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (817) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه].

وحين يدخل المؤمنون الجنة فإن حافظ القرآن يعلو غيره وتعلو منزلته، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**» [سنن أبي داود: كتاب الصلاة (1464)، سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن (2914)، وصححه ابن حبان (766)].

عاشراً: نحبب أبنائنا في القرآن؛ لأن أبناءنا أمانةٌ في أعناقنا أوصانا الله تعالى ورسوله الكريم بهم، وسوف نسألُ عنهم يوم القيامة، وكفانا حديث رسول الله -ﷺ-:«**كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع مَن يعول**»[أبو داود والنسائي والحاكم]؛ فالضياع قد يكون أخلاقياً، وقد يكون دينياً، وقد يكون نفسياً، وقد يكون مادياً.

كثيرٌ من الآباء يعتقد أن واجبه نحو أولاده يقتصر على الأكل والشرب واللباس فقط ونسي الدين نسي تعليمهم الصلاة والأخلاق العالية وتنشئتهم على الخير والصلاح.

أخي الأب: متى آخر مرة زرت ابنك إلى المدرسة تسأل عن حاله ومستواه الدراسي، ومع من يجلس، ومن يصاحب.

حادي عشر: نحبب أطفالنا في القرآن لأن ذاكرة الطفل صفحةٌ بيضاء، فإذا لم نملأها بالمفيد فإنها ستمتلئ بما هو موجود!!!..

ثاني عشر: لأن أطفالنا إذا أحبوه وفهموه، ثم عملوا به، وتسببوا في أن يحبه غيرهم... كان ذلك صدقة جارية في ميزان حسنات الوالدين إلى يوم الدين، يوم يكون المسلم في أمس الحاجة لحسنة واحدة تثقِّل ميزانه..

هذا وصلوا – عباد الله: – على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين...

أبناؤنا والقرآن (2)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: 102]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]

عباد الله:

وقفنا في الجمعة الماضية مع أهمية غرس حُب القران في قلوبنا وقلوب أبنائنا، وعرفنا أن المخرج مما نحن فيه هو القرآن والسنة والعمل بهما وتحكيمهما وفهمهما الصحيح غير الغالي والجافي على منهاج سلفنا الصالح.

والسؤال المطروح في هذا اليوم المبارك.

كيف نغرس في قلوب أبنائنا حب القرآن؟

أولاً: مرحلة الأجِنَّة: في هذه المرحلة يكون الجنين في مرحلة تكوين من طَور إلى طَور... ولك أن تتخيل جنينك وهو ينمو ويتكون على نغم القرآن المرتَّل!!!!

فلقد أثبتت البحوث والدراسات المتخصصة في علم الأجنة أن الجنين يتأثر بما يحيط بأمه، ويتأثر بحالتها النفسية، حتى أنه "يتذوق الطعام التي تأكله وهي تحمله، ويُقبل عليه أكثر مِمَّا يُقبل على غيره من الأطعمة!!! .".

كما أثبتت الأبحاث أن هناك ما يسمَّى: "بذكاء الجنين..، فإذا تعرّض الجنين إلى ضغوط نفسية مستمرة، فإنه سيكون في الأغلب طفلاً عصبياً، صعب التهدئة، ولا ينام بسهولة... بل وربما يعاني من نشاط مُفرِط، ومن نوبات المغص وتؤكد الدراسات: إن الأم الحامل التي تقرأ القرآن تلد طفلاً متعلقاً بالقرآن، فالسيدة التي حفظ طفلها القرآن وهو في سنٍ مبكر من عمره أوضحت عندما سُئلت أنها كانت دائماً تتلو القرآن وهو في بطنها وبعد ولادته وتدعو الله أن يعلمه القرآن وترضعه وهي تقرأ القرآن وتطعمه وهي تقرأ القرآن.

ثانياً: علينا أن نغرس في نفوسهم من البداية محبة القرآن الكريم وإيضاح مكانة القرآن، ثم نضع بين أيديهم الفوائد التي يجنونها من القرآن.

لا بد أن يعلم أبناءنا أن خير الناس من تعلّم القران وعلّمه، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصّته، ومفتاح التوفيق في الدنيا والآخرة علاقتنا بالقران، ومصدر الشرف والرفعة والعزة هو القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزُّخرف: 44] ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ [الأنبياء: 10] أي شرفكم وعلوكم.

ثالثاً: مما يغرس حب القران في القلوب ترديد الأم والأب لآيات القرآن على ألسنتهم، هل أتاكم خبر المرأة المتكلمة بالقرآن، ذكر أحد السلف الصالح قصة في سندها نظر يقول: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا في الطريق إذا أنا بسواد على الطريق، فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف،

فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالت: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس: 58]

فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟!؟

قالت: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: 1]

فعلمت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس.

فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟!

فقالت: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [مريم: 10].

فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين؟!؟

فقالت: ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء: 79]

فقلت لها: إن معي طعاما فهل تأكلين؟

فقالت: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ .....﴾ [البقرة: 187]

فقلت: ليس هذا شهر رمضان!!

قالت: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: 158]

فقلت: قد أُبيح لنا الإفطار في السفر!!

قالت: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: 184]

فقلت: لم لا تكلميني مثل ما أكلمك؟

قالت: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: 18]

فتعجبت من ردها وقلت: من أي الناس أنت؟

قالت: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: 36]

فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حل.

قالت: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: 92]

فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟

قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: 215]

قال: فأنخت ناقتي.

فقالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: 30]

فغضضت بصري عنها.. ولما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها..

قالت: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: 30]

فقلت لها: اصبري حتى أعقلها..

فقالت: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: 79]

فعقلت الناقة وقلت لها: اركبي.

قالت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزُّخرف: 13]

فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح.

فقالت: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 19]

فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر...

فقالت: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزّمل: 20]

فلما مشيت قليلاً قلت لها ألك زوج؟

قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: 101]

فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟

فقالت: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: 46]

فعلمت أن لها أولاداً.

فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟

قالت: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: 125]

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: 164] ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾.

فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى؛ فإذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس.

قالت: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ [الكهف: 19]، فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي.

فقالت: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: 24]

فقلت: الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا: هذه أمنا لها زمن لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن.. فسبحان القادر على ما يشاء.

فقلت: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: 24]

رابعاً: مما يحبب القرآن في قلوب أبنائنا أن يُقرأ القرآن في أرجاء البيت؛ إنه بيتٌ مبارك يحميه الله من الشياطين والسحرة، قال -ﷺ-: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» [رواه مسلم].

خامساً: إذا أردنا الرحمة تغشى بيوتنا والملائكة تحفنا فعلينا بمجالس القرآن.

ما الذي يمنعك أخي الحبيب أن تعقد حلقة القرآن في بيتك في الأسبوع مرة، فعند الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

سادساً: مما يحبب القرآن في القلوب أن نشجعهم ونحفزهم بالجوائز.

ما الذي يمنعك أخي الحبيب أن تُعلن لأولادك عن مسابقة فمن يحفظ الجزء الفلاني فله كذا، ومن حفظ السورة كذا فله كذا؛ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

سابعاً: ليتعلم أبنائنا بركة القرآن في حياته فمثلاً يتعلم آيات الرقية والشفاء مثل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: 80] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: 82] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت: 44]

ونعلمهم قراءة آيات بنية صرف مس الشياطين والتحصين وفك السحر:

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: 81] (7 مرات).

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23] (7 مرات)

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: 69] (7 مرات).

سورة الإخلاص (7 مرات). سورة الفلق (7 مرات). سورة الناس (7 مرات)آية الكرسي (7 مرات).

وغيرها من الآيات.

ونعلمهم آيات صرف العين. منها قوله تعالى ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: 51](7 مرات).

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

[الأنعام: 103](7 مرات).

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: 22] (7 مرات).

ونعلمهم أهمية قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة «**وأن من قرأ بهما في ليلة كفتاه**» أي من الآفات في ليلته، أو كفتاه عن قيام الليل، أو كفتاه ما سواهما من القرآن.

ونعلمهم أهمية آية الكرسي، وأنه «**إذا آوى إلى فراشه فليقرأ آية الكرسي، فلن يزال معه من الله تعالى حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح**»[جاء هذا في حديث أبي هريرة في قصته مع الشيطان الذي أراد أن يسرق من زكاة رمضان، فأرشده إلى أن يقرأ آية الكرسي كل ليلة، وفي آخره قال: ((**صدقك وهو كذوب**))، البخاري في كتاب بدء الخلق (3275)].

ونعلمهم أهمية قراءة سورة الكهف: قال -ﷺ-: « **من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية "من آخر سورة الكهف**» [رواه مسلم (809)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن مما يجب علينا أن نعلمه ونَعِيَهُ تمامًا هو الهدف والغاية من تلاوة كتاب الله تعالى أو استماعه من غيرنا، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: 29]، إذًا فالغاية هي التدبر والتعقل والتفكر فيما يتلى من آيات القرآن الكريم، وليتذكر أصحاب العقول السليمة والأفهام المستقيمة ويتبعوا أحكامه بفعل المأمورات وترك المنهيات والعمل به وتطبيقه في جميع مجالات الحياة، وليبتغي به من يتلوه أو يستمعه يبتغي به ما عند الله من الأجر العظيم في التلاوة والاستماع كما وردت بذلك الأحاديث.

وإنَّ مما يُعِينُ على تدبُّرِهِ وفَهْمِهِ: قراءتَهُ وتلاوتَهُ كما أنزل وترتيلَهُ حسب أحكام التجويد التي وضعها علماء القراءات لِصَوْنِ اللسان من الخطأ والتحريف في كتاب الله، وكما هو منقول بالتواتر والتلقي، قال تعالى:

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:4]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: 32] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة: 121]

ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56]

التعلق بالله

الحمد لله مُعز من أطاعه واتقاه ومُذل من خالف أمره وعصاه مجيب دعوة الداعي إذا دعاه وهادي من توجه إليه واستهداه ومحقق رجاء من صدقه في معاملته ورجاه.. من أقبل إليه صادقا تلقّاه ومن ترك لأجله أعطاه فوق ما يتمناه ومن توكل عليه كفاه.. فسبحانه من إلهٍ تفرّد بكماله وبقاه.. أحمده سبحانه حمداً يملأن أرضه وسماه.. من اعتمد على الناس.. مل.. ومن اعتمد على ماله... قل.. ومن اعتمد على علمه.. ضل.. ومن اعتمد على سلطانه.. زل.. ومن اعتمد على عقله اختل.. ومن اعتمد على الله فلا مل ولا زل ولا قل ولا ضل ولا اختل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا يعز من عاداه، ولا يذل من والاه لا شريك له ولا معبود بحق سواه وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن نصره وآواه واقتفى أثره واتبع هداه.

أما بعد:

فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [الأنفال: 29]

عبـــاد الله: ما أكثر مشاكل الحياة وفتنها ومغرياتها وشهواتها وشبهاتها والتي تذهب بالعقول وتُفسد القيم والأخلاق عند كثير من الناس قال رسول الله -ﷺ-: «**بادروا بالأعمـــال فتنًا كقطع الليل المظلم: يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا**» [مسلم/ 169] أما المسلم الحق فإنك تجده يعيش في ظل هذه الفتن والمغريات والشهوات والشبهات ثابتاً على دينه وقيمه ومبادئه وأخلاقه.

فمن أين يستمد قوته؟

وما هي القوة التي يلجأ إليها؟

و من أين يأتيه المدد فيثبت على الحق ويدع الحرام ويقارع الباطل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصبر على البلاء؟

إن هـذه القوة يستمدها المسلم من الله بإيمانه وتوكله عليه وعزته به..

قال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ ﴾ [فاطر: 10].

عبـــاد الله:

يقول طاووس بن كيسان ـ وهو من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه، و من رواة البخاري ومسلم يقول: دخلت الحرم لأعتمر، فلما أديت العمرة جلست عند المقام بعد أن صليت ركعتين، فالتفت إلى الناس وإلى البيت، فإذا بجلبة الناس والسلاح.. والسيوف.. والدرق.. والحراب.. والتفتت فإذا هو الحجاج بن يوسف،!! فرأيت الحراب فجلست مكاني، وبينما أنا جالس إذا برجل من أهل اليمن، فقير زاهد عابد، أقبل فطاف بالبيت ثم جاء ليصلي ركعتين، فتعلق ثوبه بحربة من حراب جنود الحجاج، فوقعت الحربة على الحجاج، فاستوقفه الحجاج، وقال له: من أنت؟ قال: مسلم. قال: من أين أنت؟ قال: من اليمن. قال: كيف أخي عندكم؟ وكان أخوه والياً على اليمن... قال الرجل: تركته سميناً بديناً بطيناً! قال الحجاج: ما سألتك عن صحته، لكن عن عدله؟ قال: تركته غشومًا ظلومًا! قال: أما تدري أنه أخي! قال الرجل: فمن أنت؟ قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال: أتظن أنه يعتز بك أكثر من اعتزازي بالله؟! قال طاووس: فما بقيت في رأسي شعرة إلا قامت! قال: فأفلته الحجاج وتركه.. أي عــزة هذه وأي عظمة هذه وأي قوة ينفثها الإيمان في روع المسلم وقلبه فتصغر في عينية الدنيا وفتنها ومغرياتها وقواها وابتلاءاتها.

إن المسلم لا يدرك هذه القوة إلا عندما يستشعر عظمة الله وقدرته وسعة ملكه وسلطانه فيترفع ويبتعد عن مواطن الذل والمهانة فلا يخاف من أجله ولا يخشى على رزقه يردد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: 145]

وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: 6]

لمـــا استدعى المندوب السامي الفرنسي ـ في سوريا ـ الشيخ عبدالحميد بن باديس الجزائري(1) وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار وإلا أرسلت جنوداً لإغلاق المسجد الذي تنفث فيه هذه السموم ضدنا وإخماد أصواتك المنكرة. فأجاب الشيخ عبدالحميد: أيها الحاكـم إنك لا تستطيع ذلك. واستشاط الحاكم غضباً، كيف لا أستطيع؟ قـال الشيخ: إذا كنت في عُرسٍ هنأت وعلمت المحتفلين، وإذا كنت في مأتمٍ وعظت المعزين، وإن جلست في قطارٍ علَّمتُ المسافرين، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين، وإن قتلتموني ألهبت مشاعر المواطنين، وخيرٌ لك أيها الحاكم ألا تتعرض للأمة في دينها ولغتها(2).

---

(1) ابن باديس (1305 - 1359 هـ = 1887 - 1940 م)
عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة 1931 م، إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو 15 مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيرا من المدارس.

(2) أقباس روحانية. نقلا من صلاح الأمة: (3/277-278) بتصرف.

عباد الله: إن أعظم قوة يلجأ إليها المسلم هي قوة الله وإن أعظم طريق يسلكه المسلم هو الطريق الذي يوصله إلى الله وإن أعظم باب يطرقه المسلم فيسأل حاجته هو باب الله وإن أعظم ركن يستعين به المسلم على أمور الدنيا والآخرة هو التوكل على الله وإن أعظم الأمنيات التي يسعى المسلم لتحقيقها في حياته لا تتحقق إلا بتوفيق الله ورضاه.. فهو ﷻ القادر على كل شيء والذي بيده كل شيء والذي لا يعجزه شيئاٌ في الأرض ولا في السماء، خلق الخلق بقدرته وأصبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة برحمته قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 24-32].

هذه آسية بنت مزاحم زوجة فرعون كانت ملكة عرشها.. على أسرةٍ ممهدة، وفرشٍ منضدة.. بين خدم يخدمون.. وأهلٍ يكرمون، لكنها كانت مؤمنة تكتم إيمانها.. إنها آسية.. امرأة فرعون.. كانت في نعيم مقيم.. فلما رأت الذل والعبودية لغير الله ورأت قوافل الشهداء.. تتسابق إلى السماء.. اشتاقت لمجاورة ربّها.. وكرهت مجاورة فرعون.. دخل عليها زوجها فرعونَ يستعرض أمامها قواه.. فصاحت: الويل لك! ما أجرأك على الله.. ثم أعلنت إيمانها بالله.. فغضب فرعون.. وأقسم لتذوقَن الموت.. أو لتكفرَن بالله.. ثم

أمر فرعون بها فمدت بين يديه على لوحٍ.. ورُبطت يداها وقدماها في أوتاد من حديد.. وأمر بضربها فضُربت.. حتى بدأت الدماء تسيل من جسدها.. واللحم ينسلخ عن عظامها.. فلما اشتدّ عليها العذاب وعاينت الموت رفعت بصرها إلى السماء وقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم: 11].. وارتفعت دعوتها إلى السماء..فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته)(1).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون**» [مسلم(4/2148)]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد: 2]

لذلك ينبغي أن لا تُعلّق الآمال إلا به، ولا يُطلب إلا منه، ولا يخضع العبد إلا له ولا يمتلئ قلبٌ إلا بحبه ولا يطلب رضاه إلا بهذه العقيدة يعيش الفرد المسلم والمجتمع المسلم حياة سعيدة طيبة بعيدة عن الشرك والقلق والاضطرابات النفسية وكثرة الهموم مهما كانت الظروف وضاقت الأحوال...

(1) تفسير البغوي:171/8.

ورد في السير أنه لما عـاد -ﷺ- من الطائف وقد رُجم بالحجارة من قبل السفهاء والمجانين وسدت في وجهة طرق البلاغ لدين الله لم يزد على أن قال كلمات يطلب فيها رضا ربه قائلاً: اسمع إلى نبيك وهو يناجي ربه ويطلب رضاه: «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك....** »[أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (1/ 260، 262) عن محمَّد بن إِسحاق، وقال الهيثمي (المجمع 6/ 35): (فيه محمَّد بن إِسحاق، وهو مدلّس، وبقيّة رجاله ثقات). وضعف الألباني الحديث في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص 126.] .

و تقول عائشة رضي الله عنها : «**فقدت رسول الله -ﷺ- ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» [مسلم/ 751]...

يا الله ما أحلى اللجوء بين يدي الله!! ما أحلى التذلل بين يدي الله!!

ما أحلى تفويض الأمور لله وتعليق الآمال بالله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «**أعظم الناس خذلاناً من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو مُعرّض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت**» [مدارج السالكين (1/ 458)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المؤمنون عباد الله:

إن كثيراً من الناس اليوم يشقى طوال حياته ويبذل أقصى جهده.. يعلق آماله بقوته وماله وذكاءه وربما علّق آماله بفلان أو علان من الناس وربما ارتكب من أجل ذلك الكثير من المعاصي والذنوب والموبقات وربما من أجل ذلك استحل الحرام وسفك الدماء وهتك الأعراض ليكسب رضاه وينال ما في يده من متاع الدنيا سواءً كان مال أو جاه أو سلطان..

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [التوبة: 62]

وقال -ﷺ-: «من التمس رضا الله بسخط الناس، ﷻ وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» [رواه ابن حبان في صحيحه. وصححه الألباني في صحيح الجامع / 6010].

وانظروا بأي شيء تعلّق ابن نوحٍ عليه السلام وماذا كان عاقبة أمره، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود/ 42، 43].

وهذا الشاعر المدعو ابن هانئ أمام المعز الفاطمي يمدحه ويطلب رضاه فقال: -

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ
هذا الذي ترجى النجاةُ بحبِّهِ. و به يحطُّ الإصرُ والأوزار

لقد جعله بوصفه هذا إله من دون الله فهل نفعه هذا؟ كلا.. فقد سخط عليه المعز بعد زمن وحبسه في السجن وابتلى بمرض فتكلم بأبيات من الشعر يندب حظه ويندم على فعله يقول فيها: -

أبعين مفتقرٍ إليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالقِ
لست الملوم أنا الملوم لأنني علقت آمالي بغير الخالق

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت، فقلت: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيه داوُد عليه السلام: (**يا داووُد! أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبدٌ من عبادي دون خلقي، أعرف ذلك من نيته، فتكيده السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلتُ له من بينهن مخرجاً، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبدٌ من عبادي بمخلوقٍ دوني، أعرف ذلك من نيته، إلا قطعتُ أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدمه، ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك**» [رواه الإمام أحمد وانظر: حلية الأولياء (4/ 26)].

ويقول عليه الصلاة والسلام: « **من أصابته فاقةٌ فأنزلها بالناس لم تسد فاقته؛ ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى؛ إما بموتٍ عاجلٍ، أو غنىً عاجلٍ**» [قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح (1/ 310)]، اللهم أهدنا بهداك ولا تولنا أحداً سواك.

عباد الله: -

إن من أعظم من مفسدات القلوب التعلق بغير الله فنزع بَحرين بغِربالَين - وحفرُ بِئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز في يومٍ شديد الهواء بريشتين، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين؛ أهون من الوقوف بباب غير باب الله ينضُب فيه ماء عيني.

فإذا تعلّقت الآمال بالرزق، فاتجه إلى من بيده وحده خزائن السموات والأرض القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: 3]

وإذا تعلقت الآمال بالصحة والعافية فتوجه بها إلى الله الذي قال عنه خليله إبراهيم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء /78-82]..

وإذا تعلقت الآمال بالطمأنينة والسعادة والأمن، فاتجه بها إلى الله القائل: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: 97]

وإذا علقت الآمال بمنعة وقوة تتحصن بها ضدّ ظالم أو عدو جائر، فاتجه بها إلى الله الذي خاطب موسى وأخاه هارون قائلاً: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: 46]

فإذا تحقق التوجه بالقصد والأمل إلى الله. فالتعامل بعد ذلك مع الأسباب.. أسباب الرزق والعافية والقوة والأمن والطمأنينة والعلم والمعرفة، يعتبر تنفيذاً لأمر الله وجزء لا يتجزأ من توحيد ﷻ..

ومن أمارات التعلق بالله: تعلقُ القلب ببيوت الله، فلما تعلق قلبه بربه هفت نفسه لبيوت الله التي رُفعت لذكره.

أسأل الله أن يغفر ذنوبنا وأن يستر عيوبنا وأن يقوي إيماننا، هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير، محمد المصطفى الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

أصحاب الغار دروس وعبر (1)

الحمد لله لا كاشف للكرب إلا هو، ولا مغيث للمستغيثين إلا هو من دعاه أجابه، ومن سأله أعطاه، ومن توكل عليه كفاه نسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعل لنا من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجا، ومن كل عسرٍ يُسرا...

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله

صلَّىٰ عليك الله يا خيرَ الورىٰ ... تِعداد حبات الرمال وأكـــــثرا

صلىٰ عليك الله في عليـــائه ... صـــاح داع للأذان وكـــــبرا

رب صلّ على النبي وآلـــه ... يا ما فاض نبع بالجداول أو جـرىٰ

يا رب صلّ على النبي محمـد ... ما شُج جرح في سبيلك وانـــبرىٰ

صلّوا على المختار أحمد إنّـــه ... أزكىٰ الأنام وخير من وطِيءَ الثرىٰ

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

عبد الله: اتقوا الله واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخ في الصورِ، ويُبعث من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يومَ تُبلَى السرائرَ، وتُكشَفُ الضمائرُ ويتميزُ البرُ من الفاجر.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: 34- 37]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:2]

اللهم ارحم وقفنا بين يديك ولا تخزنا يوم العرض عليك يا أكرم الأكرمين.

أيها المؤمنون:

إن أخبار السابقين، وقصص الأولين، وسير الماضين؛ من أهم وسائل تربية النفوس، وتأديبها على الصالح من الأفعال والأحوال والأقوال، إنها قصصٌ تحكي ليالي وأياماً، ودهوراً وأعواماً، ذهبت أحداثها، وبقيت آثارها، ذهب أصحابها وبقيت الدروس والعبر منها، قصص يستفيد منها من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومن أحسن القصص ما جاء في كتاب الله ﷻ، القائل تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: 3]

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه:99]

واليوم نعيش وإياكم مع قصة يسردها ويقصها علينا الحبيب محمد -ﷺ- وهي قصة تحكي حال ثلاثة نفر عاشوا لحظات ضيقٍ وكرب؛ لكنهم كانوا أصحاب رصيد من الأعمال الصالحات؛ الخالصات لرب الأرض والسماوات؛ ففرّج الله تعالى عنهم كربتهم.

عباد الله: يمر الانسان في حياته منذ أن يولد الى أن يموت بأزمات وتقلبات وعقبات فكيف نتعامل مع الازمات

وهذه القصة النبوية العظيمة تعطينا دروسا في التعامل مع الازمات وقد روى القصة بتفاصيلها كلٌ من الشيخين: البخاري ومسلم رحمهما الله، وأبو داوود في سننه، وأحمد في مسنده كلهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «**بينما ثلاثة نفر يتمشون**»

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر في غاية الأهمية، وهو أن المرء لا ينبغي له أن يسافر وحده أو يمشي في أماكن نائية وحده؛ فالرفقة خاصة الصالحة تكون عونًا لك في سفرك، وأهم من ذلك كله أنها تحثك على الخير والتقوى، وتُثبتك وتأخذ على يديك، والشيطان من الاثنين أبعد، ولهذا جاء في صحيح البخاري عن راوي الحديث ﷺ أنه قال: قال النبي -ﷺ-: «**لو يعلم الناسُ ما في الوحدة، ما سار راكبٌ بليلٍ وحده**».

بل نهى النبي -ﷺ- كما في المسند أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده»

بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، سدّت عليهم باب الغار فحوصروا داخل الغار؛ أظلم المكان حاول الثلاثة أن يزحزحوا تلك الصخرة بكل ما أُوتوا من قوة فما استطاعوا تحول الغار الى قبر.

لا إله الا الله زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر هنا تحقق الموت هنا تحقق الهلاك، انقطعت أسباب النجاة من الخلق أيقنوا بالهلاك، من يسمع كلامهم وأنينهم وصراخهم؟ من يرى مكانهم؟ من يعلم بحالهم؟ إنه الله إنه الملك جل في علاه القائل:

﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾ [الأنعام:64]

والقائل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل:62]

لقد عاد هؤلاء الثلاثة إلى أنفسهم؛ فعلموا أنه لا ينجيهم من كربهم هذا إلا الله وحده، وهذا حال المؤمن إذا وقع في كرب، وضاقت عليه الدنيا يعلم أن هناك بابًا لا يُغلق، وهو باب الله، وسبيل الله – سبحانه وتعالى، وهذا هو الدرس الأول من هذه القصة العظيمة.

ثلاث دعوات لرفع صخرة واحدة، وهو بلاء، فما أحوجنا إلى تكاثر الدعوات أمام ما يحصل لإخواننا في فلسطين عامة وغزة خاصة وما تعانيه الأمة عموما، ولو أكثرنا من الدعاء لوجدنا خيرًا عظيمًا، ونصرًا كبيرًا، فعند النسائي في سننه عن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[رواه النسائي، وعن أنس بن مالك].

سُئل أحد الصالحين هل تعرف من هو مستجاب الدعاء؟ فقال لا لكني اعرف من يستجيب الدعاء جل جلاله. سبحانه القريب من عباده؛ يجيب دعواتهم، ويرى مكانهم، ويرفع بلواهم، القائل:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:186]

أخي الحبيب: دعواتك لن تخيب لو دعوت الله في اليوم ألف دعوة فلن يخيبك الله، فإما أن يستجيب الله لك، أو يدفع عنك من البلاء والمصائب بقدر الدعاء، وإما أن يؤخر الله لك أجرك إلى يوم القيامة.

فكر هؤلاء الثلاثة ماذا يفعلون وقعت الازمة واشتدت المحنة؛ فقرروا التوجه إلى رصيدهم- نعم الرصيد- في أي بنك وفي أي صرافة وماذا ينفع الرصيد هنا؟ ماذا ينفع المال والقوة؟ لا اقصد بالرصيد المال والقوة بل رصيدهم من الخير وصنائع المعروف ليسحبوا منه.

علّمنا القرآن أن السحب من الرصيد ينفع عند الأزمات؛ فقد قص علينا قصة نبيه يونس لما التقمه الحوت في ظلمات ثلاث.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ [الصافات:144] ، لولا رصيده من الخير، لولا عبادته السابقة للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

كما ورد في الحديث الصحيح: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» [رواه أحمد (4/ 286،288) ورواه الترمذي (9 / 319،320)].

فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم،فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وفي رواية فقيران ضعيفان ليس لهما وال غيري وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بَنِيَّ، وأنه تأخرت ذات يوم فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، أي يتصايحون من الجوع.

الله أكبر ما هذا البر، ما هذا الإحسان؛ فكيف حالنا نحن مع آبائنا وأمهاتنا؟

قال: فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، ظل بالقدح ينتظرهم إلى أن طلع الفجر فاستيقظا.

ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، ففرّج الله منها فرجة وتحركت الصخرة فرأوا منها السماء لكن لا يستطيعون الخروج.

إنها عظمة بر الوالدين، إنه من أجلِّ الأعمال التي رغَّب فيها الإسلام، لا خير في عاق والديه ولو كان من أحسن الناس عبادة فمفتاح التوفيق في الدنيا والآخرة بر الوالدين. ورضا الله من رضا الوالدين وسخط الله من سخط الوالدين. وعقوق الوالدين من أكبر الكبائر.

وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم، وتحركت الصخرة لكن لا يستطيعون الخروج.

إنه العفاف وترك ما حرم الله تعالى سبب رئيس لتفريج الهموم والغموم، وجلب عون الله عز وجل، وأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، فهذا الشاب الذي امتلأ قوة وطاقة، وتأججت فيه نار الشهوة؛ ها هو ينتفض

ويترك المعصية تعظيماً وإخلاصاً لربه ومولاه، فأنجاه الله مما أصابه من كرب، وفرَّج عنه وعن أصحابه شيئاً من الصخرة.

ولم لا يكون الأمر كذلك والعفيف موعود بأن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (وذكر منهم): ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**» [رواه البخاري (620)، ومسلم (1712)].

عباد الله: ومن الدروس والعبر أن الفتاة لم تلجأ إلى الفاحشة إلا لحاجتها إلى المال، ففي رواية للحديث أُخرى صحيحة قال النبي ﷺ وهو يروي القصة عن الرجل الثاني أنه قال: «**اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها حبا شديدا فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى ألجأتها الضرورة سنة من السنين فجاءتني فناشدتني بالله فأبيت عليها حتى وافقت**، فلما وقعت بين رجليها ارتعدت وانتفضت من تحتي، **فقلت لها: ما شأنك؟ فقالت: أخاف الله رب العالمين، فقلت لها: خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء، فتركتها وأعطيتها بالحق على ما كشفتها**» إنها جريمة اجتماعية كبيرة؛ بسبب هذه الجريمة جعلت المرأة تتنازل عن أغلى ما تملك أنها جريمة الفقر التي حاربها الإسلام بالزكاة والصدقات والكفارات والنذور التي ما شُرعت إلا لمحاربة الفقر.

الفقر والحاجة – مع ضعف الإيمان – قد تدفع المرء للوقوع في المحرمات، ما دخل الفقر، مكانا إلا لحقه الكفر والمعاصي، مع تزايد الفقر يزداد معدل الجريمة.

عباد الله إن سقوط أي فقير في المحظورات يشاركه الإثم الأغنياء؛ الذين ما أخرجوا حق الفقير من أموالهم وقد استعاذ النبي ﷺ من الفقر ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك الكفر والفقر** ... » [رواه البخاري (5891)]، ومن هنا فإنه لابد من تفقد أحوال من نعلم فقرهم، والتواصي بهم، وإعطائهم ما يكفيهم.

أما الثالث فقال: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله، قال: أعطني حقي فعرضت عليه فرقه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه وأنميه حتى جمعت منه بقراً ورعاءها،

ترك العامل أجره، فلم يخلط ماله بماله، كما يفعل البعض فيخلط مال الأيتام بماله، ويخلط ماله بمال مؤسسته، لكنه قام بتشغيله وتنميته.

قال فجاءني، فقال: اتق الله ولا تظلمني حقي، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها، فقال: اتق الله، ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت

ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي» [رواه البخاري (2165)، ومسلم (4926) واللفظ له].

الشخص الثالث ضرب مثلاً سامياً في الوفاء وحفظ الأمانة، وعدم التفريط في حقوق الغير؛ فبعد أن كان نصيب العامل قليلاً من الطعام؛ إذا به يعود وقد تحول هذا الأجر إلى عدد هائل من البقر مع رعاءها، فيأخذ ذلك الأجير هذه الأبقار دون أن يترك لمن رباها ورعاها شيئاً منها.

ومع أن اجر العامل كان قليلا لكنه لم يخلطه بماله وهذه رسالة انتبه ان تخلط مالك بمال الايتام او مال المؤسسة أو أموال ليست لك .

إنها رقابة الله والخوف من عقاب الله إنها رسالة لمن يماطل في أجور العمال والأجراء يسمعوا قول المصطفى ﷺ: «**أُعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**» [سنن ابن ماجه: كتاب الرهون، باب أجر الأجراء 2/ 817]!

والخصم للظالم سيكون رب العالمين سبحانه كما جاء في صحيح البخاري أن رسول الله -ﷺ- قال: قال الله تعالى: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه فقد خصمته**»، وذكر منهم: «**رجلا استأجر أجيرا فاستوفى منه ثم لم يعطه أجره**».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو

الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

وبعد سماعنا لهذه القصة النبوية.

أخي الحبيب: لو مرت بك معضلة أو مصيبة أو مشكلة ولم تجد لها حلا عند البشر قل لي بربك هل لديك أعمالاً صالحة خالصة تسأل بها الله وتقول يارب أسألك بذاك العمل الصالح الذي عملته خالصا لوجهك الكريم أن تفرج عني ما أنا فيه.

عباد الله: هؤلاء الثلاثة يمثلون المجتمع اليوم.

من داخل الغار؟ أنا وأنت

الأمة اليوم داخل الغار، حروب ودماء وخصومة واقتتال وذنوب.

ما السبيل للخروج من الغار؟ كل منا مطالب أن يشارك في رفع الصخرة.

كل منا يسال نفسه هل سأكون سبب في رفع الصخرة أم أنا سبب في بقاءها بذنوبي ومعصيتي وظلمي.

ماذا لو كان أحد الثلاثة ليس له رصيد كان سيؤثر على البقية ولا شك، من هنا نعلم لماذا يتأخر النصر.

كل مسلم لا بد أن يكون له رصيد لنصرة الإسلام

أيها الكرام: إن كل واحد من هؤلاء النفر الثلاثة، كان له موقع.. فالفرد الأول يمثل علاقة الفرد مع محارمه وأقاربه، والرجل الثاني يمثل علاقة الفرد مع غير محارمه، والرجل الثالث يمثل علاقة الفرد مع ربِّ عمله وعلاقة رب العمل مع عامله.

وقد وضع هؤلاء الثلاثة ثلاثة من الأخلاق المطلوبة وهي: البر، والتعفف، والأمانة.

فإذا كانت العلاقات مع الأقارب والأرحام يلفها البر والرحمة، والعلاقات الاجتماعية الأخرى يلفها التعفف والخوف من الله، والعلاقات المادية والتجارية تلفها الأمانة. فأيُّ مجتمع هذا المجتمع! وأي علاقات هذه العلاقات!

ومن دروس القصة انه مهما اشتد الأمر وضاق فإن مآله إلى التنفيس والفرج بإذن الله فلن يستمر الليل بل يأتي بعده النهار.

مهما طغى الليل فالتاريخ أنبأني *** أن النهار بأحشاء الدجى يثب

وكل ضائقة مصيرها أن تكون منفرجة بإذن الله تعالى.

ولرب ضائقةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

"**تفاءلوا بالخير تجدوه**"، ما أروعها من كلمة، وما أعظمها من عبارة. المتفائل بالخير سيحصد الخير في نهاية الطريق؛ لأن التفاؤل يدفع بالإنسان نحو العطاء والتقدّم والعمل والنجاح، وكما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ [الأنفال:70]، فاجعل في قلبك خيرًا وأبشر.

دروس هذه القصة لم تنته بعد ولنا لقاء قادم إن شاء الله.

أسأل الله أن يغفر ذنوبنا وأن يستر عيوبنا وأن يقوي إيماننا، هذا وصلوا وسلموا على البشير النذير والسراج المنير، محمد المصطفى الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

أصحاب الغار دروس وعبر (2)

الحمد لله شهدت بوجوده آياته الباهرة، ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة، والرياح السائرة، والسحب الماطرة،

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الأول فله الخلق والأمر، والأخر فإليه الرجوع يوم الحشر، هو الظاهر فله الحكم والقهر، هو الباطن فله السر والجهر.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

هو المختار من البرايا هو الهادي البشير هو الرسول
عليه من المهيمن كل وقتٍ صلاةً دائماً فيها القبول

إذا سار سار النور معه، وإذا نام فيّح الطيب مضجعه، وإذا تكلم كانت الحكمة مرفعه.

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فأوصيكم -أيها الناس ونفسي- بتقوى الله، فالسعيد من اتقى ربه، وتدبر أمره، وأخذ حذره، واستعد ليومٍ لا تُقال فيه عثرة، ولا تنفع فيه عبرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:18]

أيها الكرام: حياكم الله وبياكم، وجعل الجنة مثواي ومثواكم.

ما زال الحديث يتدفق حول قصة أصحاب الغار تلك القصة التي رواها لنا النبي -ﷺ- تلك القصة المليئة بالدروس والعبر.

تلك القصة التي تقول لكل واحد منا احفظ الله يحفظك.

تقول لنا تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

تقول لنا إن تنصروا الله ينصركم.

تقول لنا اذكروا الله يذكركم.

تلك القصة التي تغرس في نفوسنا أهمية بر الوالدين اخي اسمع: **لو تكسر صلبك من القيام وتقطع لسانك من ذكر الله وتفتت فؤادك من الصيام ثم مت شهيدا فلن تدخل الجنة حتى يرضى عنك والداك.**

أيها الناس: تلك القصة التي انطبق حال الأمة الإسلامية اليوم - إلى حد بعيد - مع حال أصحابها الثلاثة الذين سدت عليهم الغار صخرة عظيمة وما استطاعوا تحريكها قيد أنملة .. فماذا يفعلون؟!

هل دب اليأس إليهم؟! لا، لم يحدث هذا بل تذكروا أن للصخرة والغار ربا هو ربهم ورب كل شيء ومليكه .. تذكروا قدرته المتناهية، وقيوميته بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير ، فأقبلوا عليه متضرعين، ، منكسرين، وبداخلهم يقين بأنه لن ينجيهم سواه ..وباعمالهم الصالحة الخالصة له في علاه تحركت الصخرة تدريجيا، ليخرجوا بعد ذلك من الغار سالمين.

ونحن الآن نعيش في مرحلة انطباق الصخرة على فوهة الغار وجميعنا بداخله، ولقد جربنا لإزاحة تلك الصخرة حلولا كثيرة فلم تنجح، فلماذا – إذن – لا نفعل مثل ما فعل الثلاثة ونتوجه توجها صادقا نحو من بيده إخراجنا، ونصرنا ورزقنا وفلاحنا ونسير وفق ما دلنا عليه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ . فتنفرج الصخرة، وتعود أمتنا لسيرتها الأولى ..

أيها المؤمنون: من دروس وعظات وعبر هذه القصة النبوية أن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مرتبطة بالأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله زلفى، وإن ثمار هذه الأعمال المباركة يجنيها صاحبها في الآخرة جنة وفرحا وسرورًا، وفي الدنيا سعادة وسعة وحبورا.

فالعمل الصالح التسبيحة التهليلة الصدقة ولو قلت أي عمل صالح صغر ام كبر كما قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «**إن للحسنة نورا في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق**.[ميزان الاعتدال:4/ 532].

فمن أسباب السعادة والعز والشرف والرفعة والراحة العمل الصالح والاتصال بالله تعالى قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل:97]

و من دروس قصة أصحاب الغار الثلاثة: أهمية الإخلاص في العمل، فقد كان في آخر دعاء كل واحد منهم: «**اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه**».

نعم انه الإخلاص فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة:5]

والعمل بلا إخلاص كالرعد بلا مطر.

وروي أن ذا النون المصري يقول: **الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم** قال الله عز وجل: "﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:8].. [تاريخ دمشق لابن عساكر]

الإخلاص هو أن لا تجعل نصيباً من عبادتك لأحد، اجعلها كلها لله حتى تكون مقبولة عند الله؛ فكان الإخلاص في العمل سبباً لزحزحة الصخرة العظيمة في الجبل بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:110]

عباد الله:

هناك آية مخيفة كلما قرآها الإنسان خاف على أعماله أن تضيع وتصبح لا شيء وهي قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:23]

يُحكى أن أميرا من الأمراء أراد أن يبني مسجد في مدينته وأمر أن لا يشارك أحد في بناء هذا المسجد لا بالمال ولا بغيره، حيث يريد أن يكون هذا المسجد هو من ماله بدون مساعدة من أحد وحذر وأنذر من أن يساعده أحد، وفعلاً تم البدء في بناء المسجد ووضع اسمه عليه.

وفي ليلة من الليالي، رأى الأمير في المنام، كأن ملك من الملائكة نزل من السماء فمسح اسمه عن المسجد وكتب اسم امرأة، فلما أستيقظ الملك من النوم، أستيقظ مفزوع وأرسل جنوده ينظرون هل اسمه مازال مكتوباً على المسجد.

فذهبوا ورجعوا وقالوا: نعم اسمك مازال موجود ومكتوب على المسجد، وقالت له حاشيته: هذه أضغاث أحلام.

في الليلة الثانية، رأى الملك نفس الرؤيا: رأى ملك من الملائكة ينزل من السماء فيمسح اسمه عن المسجد ويكتب اسم امرأة على المسجد.

وفي الصباح استيقظ الملك وأرسل جنوده، يتأكدون هل مازال اسمه موجود مكتوبا على المسجد، ذهبوا ورجعوا، وأخبروه أن اسمه مازال مكتوبا على المسجد. تعجب الملك وغضب.

فلما كانت الليلة الثالثة، تكررت الرؤيا من جديد. فلما قام الملك من النوم قام وقد حفظ اسم المرأة التي يُكتب اسمها على المسجد أمر بإحضار تلك المرأة، فلما حضرت وكانت امرأة عجوز فقيرة وهي ترتعش، سألها: هل ساعدت في بناء المسجد الذي يبنى؟

قالت: يا أيها الملك أنا امرأة عجوز وفقيرة وكبيرة في السن وقد سمعتك تنهى عن أن يساعد أحد في بناءه فلا يمكنني أن أعصيك فقال لها: أسألك بالله ماذا صنعت في بناء المسجد؟

قالت: والله ما عملت شيء قط في بناء هذا المسجد إلا.

قال الملك: نعم إلا ماذا؟

قالت: إلا أنني مررت ذات يوم من جانب المسجد فإذا أحد الدواب التي تحمل الأخشاب وأدوات البناء للمسجد مربوط بحبل إلى وتد في الأرض وبالقرب منه إناء به ماء وهذا الحيوان يريد أن يقترب من الماء ليشرب فلا يستطيع بسبب الحبل والعطش بلغ منه مبلغ شديد فقمت وقربت سطل الماء منه فشرب من الماء هذا والله الذي صنعت.

فقال الملك متحسراً على نفسه: عملتِ هذا لوجه الله فقبل الله منك وأنا عملت عملي ليقال مسجد الأمير فلان فلم يقبل الله مني!!!

فأمر الملك أن يُكتب اسم المرأة العجوز على هذا المسجد. إنه الإخلاص إخلاص ساعة نجاة الأبد.

ومن دروس هذه القصة درسٌ عجيب وهو: **أن من الحجارة والصخور من يهبط من خشية الله**، ويستجيب لأمره سبحانه، أمر الصخرة أن تتحرك من مكانها فاستجابت، فواعجباً ممن بلغ في قسوة القلب والمشاقة لربه مبلغاً لم تصل إليه حتى الصخور الصماء!!.

ويا عجباً من مُضغة لحم أقسى من هذه الجبال، يسمع آيات الله تتلى عليه، ويذكر الرب تعالى فلا يلين ولا يخشع. قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة:74]

أيها المؤمنون: في غمرة الأحداث، وفي غمرة الضيق والغلا والحروب والفتن وانتظار الفرج قد ننسى أسباب الفرج ورفع الكرب ونحاول أن ننظر يمينا وشمالا وان نستعين بأي شيء ليفك عنا ما نحن فيه ونسينا وتغافلنا أن الفرج والمخرج بيد الله، وأن سعادتنا في الرجوع إلى دينه ومنهجه وكتابه وشرعه سبحانه القائل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام:64]

ومن الدروس والعبر التي نتعلمها من هذه القصة المباركة: **جواز التوسل إلى الله بالعمل الصالح**: يقول الله تعالى ذاكراً دعاء أهل الإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ [آل عمران:16]

وقال جل في علاه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عمران:193]

وجاء عند ابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللهم مَن آمن بك وشهد أني رسولك، فحبِّب إليه لقاءك، وسهِّل عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومن لم يؤمن بك ويشهد أني رسولك، فلا تحبب إليه لقاءك، ولا تسهل عليه قضاءك، وأكثر له من الدنيا»**؛ [صحيح الجامع"، و"وصححه الألباني]

وهذا التوسل أحد أنواع التوسل المشروع؛ فأصحاب الغار قد توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة بأن يفرج عنهم ما هم فيه، وأنت أخي الكريم لو كنت رابعهم قل لي بربك ما هو العمل الذي ستتوسل الى الله به ليخرجكم مما انت فيه.

فمن التوسل الشرعي التوسل بالعمل الصالح، كأن تسأل الله بصلاتك وصيامك، وبر والديك وصلة أرحامك؛ كفعل أهل الغار.

وفي هذه القصة رد على المستغيثين بغير الله من عباد القبور والأموات الذين يعظم شركهم عند الشدائد.

والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾ [الأعراف:194]

كيف يستغيث غريق بغريق؟

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد: أيها المسلمون:

وفي هذه الحادثة فضل الرفقة الصالحة حيث اتفقت كلمتهم على دعاء الله، وذكَّر بعضهم بعضاً في هذه المحنة فالصاحب ساحب وكل قرين بالمقارن يقتدي.

أنت في الناس تُقاس بمن اخترت جليسا *** فاختر الأخيار تعلو وتنل ذكراً جميلا

أيها المسلمون: رُب كلمة قالها المرء بصدق وإخلاص غيرت مجرى حياة عبد كان غارقاً في الآثام، وجعلته – بعد توفيق الله – من أهل الصلاح والاستقامة.

قالت له: **اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه**» فتوقف.، كلمة واحدة جعلت هذا الرجل يقلع عن هذا الذنب الذي سعى إليه منذ سنوات، وأين؟ وهو جالس منها مجلس الرجل من زوجته، فسبحان من قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء.

وها هو ابن مسعود رضي الله عنه يمر فيسمع شاب له صوت جميل يغني، فقال: «ما أجمله من صوت لو كان بالقرآن» لم يقل له حرام وأنت ضال مضل مبين كما يفعل بعض المتلبسين بالدين؛ فكانت هذه الكلمات من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً في صلاحه وتحوله إلى حافظ لكتاب الله إماما للمسلمين في صلاتهم.

لا تستهينوا عباد الله بالكلمة الطيبة فقد يفتح الله بها القلوب ولو بعد حين.

ومن الدروس عباد الله: أن شرف المرأة في عرضها – بعد تمسكها بدينها – لذلك كان حفظ الأعراض من الضروريات التي جاء بها الشرع، فعلى المرأة أن لا تفرط في هذا العز المكين.

ومن الدروس: أن ترك المعصية بعد القدرة عليها خوفاً من الله، وحياءً منه؛ مل عظيم مبارك يؤجر عليه العبد، أما من ترك المعصية لعدم قدرته عليها، أو خوفاً من الخلق فليس له اجر.

ألا وصلوا ـ عباد الله ـ على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

المولد دروس وعبر

اللهم لك الحمد كله و لك الشكر كله و إليك يرجع الأمر كله علانيته و سره. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له.

اللهم ارض عنا في هذا اليوم واجعلنا من المقبولين يارب العالمين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: عباد الله: اتقوا الله واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخ في الصورِ، ويُبعث من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يومَ تُبلَى السرائرَ، وتُكشَفُ الضمائرُ ويتميزُ البرُ من الفاجر.

عباد الله: هل هلال ربيع الأول ربيع الخير، ربيع الهداية، ربيع الإتباع لا الابتداع.

ربيع الاهتداء والاقتداء لا الالتواء.

في ربيع الأول في الثاني عشر منه ولد محمد الحبيب -ﷺ- فأضاء كل شيء؛ وفي نفس اليوم وفي نفس الشهر بعد ثلاثة وستين عاماً وقعت أكبر مصيبة للأمة؛ إنها موت الحبيب محمد -ﷺ- فأظلم كل شيء في المدينة.

عباد الله: لقد كان مولده -ﷺ- ثم بعثته إيذاناً ببزوغ فجر جديد على البشرية، إعلاناً بإنهاء عبودية العباد للعباد وتبقى عبودية العباد لرب العباد.

جاء النبي -ﷺ- بإعلان أن الناس سواسية لا عنصرية لا طائفية فقال بأبي وأمي «**أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد؛ كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى**» [أخرجه أبو نعيم في الحلية (3/ 100)، والبيهقي في الشعب (4/ 289)].

بل نادى في أقرب الناس إليه وقال: «**يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسكِ من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً**» [أخرجه مسلم والنسائي عن أبي هريرة].

بل قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: 101]

جاء هذا الرسولُ ليبدِّدَ الظلامَ ويبسطَ العدلَ وينشرَ النور ويُحرِّرَ الإنسانَ من تبعيَّةِ الإنسان.

جاء ليقول: لا إله إلا الله ولا معبود سواه.. فلا تعبدوا الشمسَ ولا القمر ولا الصنمَ ولا الحجر ولا النجمَ ولا الشجر واعبدوا الله الذي خلقها وخلق كلَّ شيء وبيده وحده كلُّ شيء..

جاء ليقول: صِلوا أرحامَكم وبرُّوا آباءكم وأكرموا جيرانكم وأعطوا من حرمكم واعفوا عمن ظلمكم وصِلوا من قطعكم..

جاء ليقول: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تخاصموا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا ولا يغتب بعضكم بعضا..

جاء ليقول: المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يخذله ولا يحقِرُه ولا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خِطبته من أجل أن ذلك يُحْزنه ويوغِرُ صدره فتتقطع الأواصر فيما بينكم.

عندما نتكلم عن مولد رسول الله -ﷺ- فإن هذا يعني أننا نذكر شمائل هذا النبي وأخلاقه وأوامره ونواهيه وما ينبغي علينا من واجبات نحو هذا كله. من أهم واجباتنا نحو النبي -ﷺ- حُبه، فحبه وحب ما جاء به هو عين الإيمان، لهذا يقول -ﷺ- فيما اتفق عليه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه: «**ثلاثٌ من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**» [أخرجه البخاري في الإيمان (15) ومسلم في الإيمان (60)].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» [أخرجه أحمد والشيخان].

عباد الله: كل احتفال لا يرافقه استقامة لا فائدة منه!!

ما قبل الله دعوى محبته إلا بالدليل، الدليل أن تتبع النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: 31].

لو كان حُبّك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن يحب مُطيع

يا عباد الله: إننا بحاجة إلى أن نغتنم هذه الذكرى لنعيش مع أنفسنا نحاسبها على مدى وفائها بالواجب الشرعي تجاه هذا الرسول الكريم الخاتم -ﷺ-، ونسأل ـ أنفسنا ـ عن أدائها لحقوق النبي العظيم محمد -ﷺ- الواجبة علينا.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: 157]

نحن مع الاحتفال بعيد المولد، ولسنا ضده، لكنه احتفال الإتباع لا الابتداع احتفال يجعلنا نعيش مع سنته وهديه وزهده وخلقه طوال العام لا يوماً واحدا.

هذا الذي ينبغي أن نفعله وأن نجتمع من أجله في بيوتنا وفي مساجدنا، وأن نتعرف إلى منهج النبي عليه الصلاة والسلام.

قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: 21]

لن يكون أُسوة حسنة لنا إلا بقراءة سيرته والتأمل في سنته؟ كيف تزوج؟ كيف كان مع زوجته؟ مع أولاده؟ مع أصهاره؟ مع بناته؟ مع جيرانه؟ مع إخوانه؟ مع أصحابه؟ كيف كان في سِلمه، وفي حربه؟ كيف كان في الفقر والغنى؟

عباد الله: ماذا ننتفع بإحياء هذه الذكرى الطيبة إذا كنا مبتعدين عن هديه وسيرته ماذا ننتفع اذا كانت قلوبنا متشاحنة ونفوسنا متخاصمة؟!.

ماذا ننتفع بهذه الذكرى إذا بقينا نتصارع ونتقاطع ويكيد بعضُنا بعضاً بكل عداوة وبغضاء؟!. فهل هذا الذي جاء من أجله سيدُنا محمدٌ -ﷺ-؟!.

فبماذا نحتفي وبماذا نحتفل لطالما نحن في ذكرى المولد جميعاً بينما قلوبُنا شتَّى؟!.

إن الاحتفال من أجل أن تتصالحَ النفوسُ وتتصافى القلوب.

سعُدت بمولد أحمد الأزمان وتعطرت بعبيره الأكوان

والشرك أنذر بالنهاية عندما ولد الحبيب وأشرق الإيمان

إن مولد رسول الله -ﷺ- في هذه الأيام رسالة عظيمة، تبشبش القلوب، وتحيي النفوس، وتجبر الخواطر، وتدفع اليأس، وتحيي الأمل، بأن مجد الأمة قادم، وأن خيرها قائم، فلترتفع الأمة، لتلاقي ذلك القدر في ذكرى مولد الهدى، يغمرنا التفاؤل، ونحن نبحث عن مخرج من هذه المتاهة التي تغرق فيها الأمة كلها، وقد توحدت كل ذئاب الأرض ضدها، بعد أن مزقتها الخلافات ونخرها السوس ولا منقذ إلا الله.

أتيتَ والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنمٍ قد هام في صنم
فعاهل الروم يطغى في رعيته وعاهل الفرس من كبر أصمّ عَمِي

فكان لا بد للظلام من أن ينجلي، ولا بُدَّ للفجر من أن ينبلج ضياؤه.

دعونا نتأمل صور عملية من حياته -ﷺ- ومواقف مختلفة.

أيها الإخوة الكرام:

الصورة الأولى: أذاقه الله نبيه الفقر.

دخل إلى البيت مرة وهو جائع فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها - قَالَتْ: « دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ ». تباً لدنيا ما أحقرها يجوع فيها خير الخلق -ﷺ-. كان يمر عليه الهلال والهلالين والثلاثة ولا يوقد في بيوت نساءه نار، ويأكلون الأسودين التمر والماء.

الصورة الثانية: حين أغناه الله:

رسول الله -ﷺ- حين أغناه الله مرة فسأله أحد زعماء القبائل: لمن هذا الوادي من الغنم؟ قال: هو لك، قال: أتهزأ بي؟ قال: لا والله، هو لك، قال: أشهد أنك رسول الله تُعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

الصورة الثالثة: أذاقه الاضطهاد في الطائف، كذّبوه، وسخروا منه، وأغروا صبيانهم ليضربوه، قال: «**يا رب، إن لم يكن بك غضبٌ علي فلا أبالي**»، يا رب، إذا كانت هذه الشدة تعني أنك غاضب علي فلك العتبى حتى ترضى، وإن كانت لا علاقة لها بغضبك ورضاك فلا أُبالي لكن عافيتك أوسع لي.

الصورة الرابعة: لما أذاقه النصر بمكة بإمكانه بحركة من شفتيه أن ينهي وجود أعدائه الذين حاربوه عشرين عاماً، قال: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(1)، لذلك قال أبو سفيان: ما أعدلك! وما أرحمك! وما أوصلك! وما أحلمك!

الصورة الخامسة: ذاق موت الولد، نعم حين رأى ابنه إبراهيم يجود بنفسه ويعاني الموت ففاضت روحه فبكى -ﷺ-، عن أنس رضي الله عنه قال: « دخلنا مع رسول الله -ﷺ- على ولده لإبراهيم فقبّله وشمّه، ثم دخلنا عليه بعده وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان فقال ابن عوف وأنت يا رسول الله كأنه استغرب بكاءه فقال -ﷺ-: **القلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون** » [رواه مسلم].

(1)تهذيب سيرة ابن هشام 292.

الصورة السادسة: ذاق أن تُتهم زوجته العفيفة الطاهرة؛ أن تُتهم بأثمن ما تملكه امرأة فصبر حتى برأها الله في عليائه، فلما قال لها أبوها: قومي فاشكري رسول الله، قالت: لا والله، لا أشكر إلا الله، فابتسم عليه الصلاة والسلام، وقال: «**عرفت الخير لأهله**». عجباً لمن يدّعي حب النبي -ﷺ- وهو يتهمه في أثمن ما يملك نسائه.

الصورة السابعة:

كانت عنده امرأة تقمُّ المسجد، وهل في هناك عمل أدنى من أن يقمَّ الإنسان مكاناً، أما هو عند الله فقد يكون أرقى عمل، أنت حينما تكون في خدمة بيت الله، هذه صنعة سيدنا إبراهيم، ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: 125]

ومع ذلك لما ماتت اجتهد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه المرأة شأنها أقلّ مِن أن يخبر عن موتها النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يخبروه، فلما تفقدها بعد أيام قالوا: ماتت، فغضب، قال: هلا أعلمتموني، « **أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ؟ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، أَوْ قَالَ: قَبْرِهَا، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا** ». [رواه البخاري ومسلم] هذا هو الإسلام.

الصورة الثامنة:

دخل أعرابي على النبي -ﷺ- وأصحابه، فيقول: أيّكم محمد؟ ماذا تفهمون من هذه؟ إن الرسول المصطفى لم يكن يتميّز على صحابته بشي لباسه كلباسهم هيئته كهيئتهم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

أما بعد:

أيها المسلمون:

الصورة التاسعة:

كان النبي -ﷺ- يعين أصحابَه، ويمازحهم بحقٍّ، ويربِّيهم علَى أحسن السّجايَا وأكرم الطبائع. كانَ في سَفرةٍ واتَّفق أصحابه على طَبخِ شاةٍ، فقال أحدهم: عليّ ذبحها، وقال الثاني: عليّ سلخها، وقال الثالث: عليّ طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب، قالوا: نكفيك ذلك، قال: أعلم أنكم تكفونني، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

في غزوة بدر كان الصحابة الكرام بضع مئة وأربعة عشر رجلا، والرواحل قليلة، والنبي -ﷺ- قائد الجيش، وزعيم الأمة، ورسول الله، ونبي الأمة، قال: «**كل ثلاثة على راحلة، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة**»، ركب الناقة فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً قال باي وأمي: « **ما أنتما بأقوى مني على السير ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر**»[السلسلة الصحيحة، 2257].

الصورة العاشرة:

قبل أن يُغادر إلى الدار الآخرة وقف خطيباً، وقال: «... **من كنت أخذت له مالاً فهذا مالي، فليأخذ منه، ومن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتدْ منه، ومن كنت شتمتُ له عرضاً فهذا عرضي، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأني....** »[رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط "، وأبو يعلى بنحوه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ج13/ 644] ولا من طبيعتي، هكذا كان عليه الصلاة والسلام.

عباد الله: كلنا يتمنى أن يوفقه الله لعمرة ثم يتحرك لزيارة مسجد النبي -ﷺ- ثم يتحرك إلى الروضة الشريفة ثم يمر على قبر النبي -ﷺ- ويُسلم عليه قائلاً: السلام يا رسول يا حبيب الله أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة وكشفت الغمة وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين.

أجمل من هذا وأفضل أن تعامل زوجتك كما عامل زوجته -ﷺ-، أن تُربي أولادك كما ربَّى بناته، أن تكون وقَّافاً عند الحلال والحرام.

الإسلام ليس شكليات أن يضع مصحفا في السيارة، شيء رائع جداً، لكن عيونه في الطريق على نساء المسلمين، يضع في محله التجاري لوحة مكتوب فيها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[الفتح: 1]، لكن هناك غش في البضاعة، وأيمان كاذبة، هذا الشكل الفلكلوري مرفوض الآن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

« إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وأَمْوَالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ ».

[صحيح مسلم (2564).].

قال ملك لأحد كبار العلماء: ادعُ لي، قال له: لا تظلم، وأنت لست محتاجاً إلى دعائي فقط، استقم.

البطولة أن تتبعه -صلى الله عليه وسلم-، أن يكون بيتك إسلاميا، ومحلك إسلاميا، وعملك إسلاميا.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: 56]

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

الاستبداد السياسي (1)

الحمدُ لله مُعزّ من أطاعه واتقاه. ومُذل من أضاع أمره وعصاه. الذي وفّق أهل طاعته للعمل بما يرضاه. وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه. أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه. وهو الذي في السماءِ إله وفي الأرض إله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كمّل به عقد النبوة فطوبى لمن والاه وتولاه. اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده. وكان هواهم تبعاً لهداه. وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:18]

أيها المسلمون: من أعظم آلام الأمة اليوم الاستبداد والاستبداد السياسي خاصة: استبداد فئة معينة بالحكم والسلطان، برغم أُنوف شعوبهم، فلا هَم لهم إلا قهر هذه الشعوب حتى تخضع، وإذلالها حتى يسلس قيادها، وتقريب الباحثين بالباطل، وإبعاد الناصحين بالحق.

والاستبداد اليوم له إمكانات هائلة يؤثر بها على أفكار الناس وميولهم، عن طريق المؤسسات التعليمية والإعلامية والتثقيفية والتشريعية، وأكثرها – إن لم يكن كلها– في يد الاستبداد.

وأول المتضررين من جراء الاستبداد والطغيان هو الدين، فالإسلام لا ينتعش ويزدهر ويؤثر، ويدخل إلى العقول والقلوب، ويؤثر في الأفراد والجماعات، إلا في ظل الحرية التي يستطيع الناس فيها أن يعبروا عن أنفسهم، وأن يقولوا: (لا) و(نعم) إذا أرادوا ولمن أرادوا، دون أن يمسهم أذى أو ينالهم اضطهاد.

ومعظم أقطار الوطن العربي ـ والإسلامي ـ قد أُبتليت بفئة من الحكام أغاروا على الحكم في ليلة ففر الصباح ولم يرجع!

القلوب تكرههم، والألسنة تدعو عليهم، والشعوب تترقب يوم الخلاص منهم لتجعله عيدا أكبر، ومع هذا يُستفتى الشعب على حكمهم، فلا ينالون أقل من 99. 999 (التسعات الخمس) المشهورة في كثير من بلاد العالم الثالث المقهور المطحون.

إن الاستبداد ليس مُفسدًا للسياسة فحسب، بل هو كذلك مُفسد للإدارة لأن الاستبداد يقدم أهل الثقة عند الحاكم، لا أهل الكفاية والخبرة، ويقرب المحاسيب والمنافقين، على حساب أصحاب الخلق والكفاءات والدين.

وبهذا تضطرب الحياة وتختل الموازين، وتقرب الأمة من ساعة الهلاك وإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

والاستبداد مفسد للاقتصاد، لأن كثيراً من الأموال لا تُنفق في حقها، ولا تُوضع في موضعها، بل تذهب لحماية أمن الحاكمين، والتنكيل بخصومهم في الداخل والخارج، وشيوع ألوان النهب والسرقات، المكشوفة والمقنعة، لأموال الشعب، وانتشار الرشوة باسمها الخاص أو باسم العمولات والهدايا، والتستر على صفقات مريبة يكسب أفراد من ورائها ملايين، ويخسر الشعب من ورائها ملايين.

وإذا قرر الزعيم أمرا، فليس من حق أحد أن يسأله: لم؟ فليس في الشعب أحدٌ مثله ذكاءً وعقل، وحكمة، فهو العلاّمة في كل فن، والفهّامة في كل شيء وأما من حوله فمهمتهم أن يؤمنوا إذا دعا، وأن يصدقوا إذا تكلم.

من اجترأ واعترض، فيا ويله ماذا يلقى، لأنه باعتراضه يصبح عدو الحرية ولا حرية لأعداء الحرية!

والاستبداد مُفسد للأخلاق، إذ لا يُنفق في سوق الاستبداد إلا بضائع النفاق والجبن والذل والخنوع، وهي الرذائل التي تقتل العزة في الأنفس، والشجاعة في القلوب، وتميت الرجولة في الشباب، **«وإذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم، يا ظالم فقد تودع منهم»** كما قال عليه الصلاة والسلام[أخرجه أحمد (2/ 189)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (زوائد الهيثمي 2/ 763)، والحاكم (4/ 108) وضعفه أيضاً الألباني في ضعيف الترغيب (1392)].

فكيف إذا كان الاستبداد يلقنها كل يوم أن تقول للظالم: أيها البطل المنقذ العظيم؟!

والاستبداد كثيراً ما يتغاضى عن المجرم والمنحرف إذا كان من أنصاره فهو يظله ويستره، فإذا انكشف حماه ودافع عنه، ليعلم أتباعه دوما أن ظهرهم مسنود وأن ذنبهم مغفور.

وشعار الاستبداد دائماً: «**من ليس معنا فهو علينا**»، أكثر من ذلك: أن يأخذ القاعد المتبطل مكافأة العامل المجد، وأن يعاقب البريء بدل المسيء! وتلك هي الطامة الكبرى.

أيها المسلمون:

يُحدثنا القرآنُ أنَّ سقوطَ الأمم وهلاكَ المجتمعات يبدأ حين يتسلمُ المسئوليةَ حفنةٌ من المترَفين الفَسَقة، أو الإداريِّين الظَّلَمة، أو المجرمين الطُّغاة، فيمارسون من مواقعِ السلطةِ كلَّ أسلوبٍ من شأنِه أن يؤول إلى إلحاقِ التفكُّكِ والدمارِ بالجماعةِ أو الأمةِ التي ارتضتْهم قادةً لها، فاستبدُّوا بالأمر، واعتبروا رُؤاهم وتشريعاتِهم الذاتيَّةَ القاصرةَ المفكَّكةَ هي الحدود النهائية لموقف الإنسان في العالم، واستخدموا أقصى وأقسى درجاتِ القَسْوة والطَّيْش لِصَدّ قومِهم عن الحقِّ أو الدعوةِ إليه، يُردِّدون مقالةَ فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: 29]

من أهم أسباب الاستبداد: اغترارُ المستبدِّ بقوتِه وأجهزتِه الأمنيَّةِ، وإعجابه بعقلِه وكياستِه وتفطُّنِه لدقائق الأمور، مع استجهال الناسِ المخالفين له ولرأيه، وقد قيل: «مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ لَمْ يُشَاوِرْ، ومَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَانَ مِنْ الصَّوَابِ بَعِيدًا».

ومن أسباب الاستبداد كذلك: استصحابُ بطانةٍ من المنافقين الذين يستخفهم فيلوون الحقائق ويُزَيِّنون للمستبد الطغيانَ والإفساد، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «نِعْمَ الْمُؤَازَرَةُ الْمُشَاوَرَةُ، وبِئْسَ الِاسْتِعْدَادُ الِاسْتِبْدَادُ».

وقد حذَّر النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- من الاستبداد، وقال: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ» [أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وعُقُوبَةِ الْجَائِرِ 3/ 1461 (1830)].

وهو الذي يضرب الناس ولا يرحمهم، وهو مأخوذٌ من الحَطْمْ، إذا كان قليلَ الرحمة برعيَّتِه، والذي يسوقهم سَوْقًا شديدًا عنيفًا لا رفقَ فيه، ويأخذهم بالشدة. ودعا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- على الأمير المستبد فقال: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» [أخرجه مسلم في الموضع السابق: 3/ 1458 (1828).].

وذكر النبيُّ -ﷺ- أنَّ المستبدين الظلمةَ من أهل النار، وربط بين الاستبداد السياسي وبين حصول الانحلال الخلقي في الأمة فقال: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، ونِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ولاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وكَذَا».

[أخرجه مسلم في كتاب: صفة جهنم، باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ 4/ 1680(2128) .].

والاستبداد هو رأس أسباب الانهيار للمجتمعات، وكل أسباب الانهيار والسقوط التالية: إنما تحصل أساسًا -أو على الأقل تنمو وتزدهر- في أجواء الاستبداد والكبت، وقد سُئل مروانُ بنُ محمد آخرُ ملوك بني أمية: ما الذي أضعف مُلْكَك بعد قوة السلطان وثبات الأركان؟ فقال: "الاستبدادُ برأيي".

حين يفرض الحاكم المستبدُّ على الأمةِ إلّا تسمعَ إلا له، وألَّا تسيرَ إلا خلفه، وحينما يمنعُها أن تبديَ آراءَها، وحين يسلبُها حريَّتَها وكرامتَها، وحين يبيع قضاياها الكبرى رخيصةً لعدوها، وحين يفرض عليها ما يريد، ولا يسمح لها أن تعلنَ رأيَها؛ فلا بد أن تسقط الأمةُ وتنهار، ولا تصمدَ أمام عدو.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر. إنك على كل شيء قدير.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أحاط بكل شيءٍ خُبراً، وجعل لكل شيء قدراً، وأسبغ على الخلائق من حفظه ستراً. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة عذراً ونذراً. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه.. أخلد الله لهم ذكراً وأعظم لهم أجراً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: عباد الله:

شتَّان بين دولةٍ أساسُ الحكم فيها السجنُ والكرباجُ والتعذيب، ودولةٍ يقول حاكمُها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لوُلاته: «يَا أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ عَظَّم حَقَّه فوق حقِّ خلقِه، فقالَ فيما عَظَّمَ مِنْ حقِّه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: 80] أَلَا وإِنِّي لَمْ أَبْعَثْكُمْ أُمَرَاءَ ولَا جَبَّارِينَ، ولكِنْ بَعَثْتُكُمْ أَئِمَّةَ الْهُدَي، يُهْتَدَي بِكُمْ، أدِرُّوا على المسلمين حقوقَهم، ولاَ تَضْرِبُوهم فَتُذِلُّوهُمْ، ولاَ تُجَمِّرُوهُمْ (أي لا تحبسوهم بغير حق) فَتَفْتِنُوهُمْ، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم»[1].

(1) الخراج لابي يوسف:131، المكتبة الأزهرية للتراث.

وفي رواية: «إني لم أبعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم».

وصدق النبيُّ -ﷺ- حين قال: «**إذا أراد الله بقومٍ خيرا استعمل عليهم الحُلَماء، وجعل أموالهم في أيدي السُّمَحاء، وإذا أراد الله بقومٍ بلاء استعمل عليهم السفهاء، وجعل أموالهم في أيدي البخلاء، ألا من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم في حوائجهم رفق الله به يوم حاجته، ومن احتجب عنهم دون حوائجهم احتجب الله عنه دون خلته وحاجته**»[ورواه أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في أول كتاب الخراج له من حديث ابن عباس].

أفيمكنُ لظالمٍ متجبِّرٍ مستبِدٍّ عنيدٍ ومظلومٍ محرومٍ أُشرب قلبُه الذُّلَّ وسكنَ إلى الأوضاعِ الفاسدةِ أن يقيم أمةً لها شأنٌ ودولةً لها كيان محترم!!

عباد الله:

الإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم وحده، أما مراسيم الاستبداد فترتد إلى وثنية سياسية عمياء.

لقد تعلّم المسلمون من دينهم أن طغيان الفرد في أمة ما جريمة غليظة وأن الحاكم لا يستمد بقاءه المشروع، ولا يستحق ذرة من التأييد، إلا إذا كان معبراً عن روح الجماعة ومستقيماً مع أهدافها.

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: 55] قدّم القرآن الكريم عرضاً شاملا لأهم معالم استراتيجية فرعون رمز الطغيان السياسي في كيفية إدارته للصراع الاجتماع والسياسي في السيطرة على الوطن والمواطن، والذات والقيم والأشياء، ليحذر منها الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم!!

تبدأ مراحل مواجهة الاستبداد السياسي من قبل المستضعفين في الأرض، بمرحلة النضال السلمي، والمجادلة بالتي هي أحسن، والقول الحسن. كما في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طه: 44]، ولما كانت صورة المستبد عند الناس هي صورة البطش والإرهاب، فقد أجاب موسى وهارون، ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾[طه: 45]، وذلك لأنه يملك مقاليد الأمور كلها بيده، من سُلطة وأموال يُسخرها الحاكم المستبد وبطانته لاستعباد الناس وإذلالهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾[يونس: 88]أي أن عقوبتهم ليست في الآخرة فقط، وإنما في الحياة الدنيا، وعلى أيدي المستضعفين في الأرض.

ونجد أن الحاكم المستبد يواجه هذا القول الليّن لتحرير الناس من العبودية بالتكذيب أولا، وبالتشكيك في النوايا، لكن الدعوة بالقول اللين، في مرحلتها السرية، تكسب بعض الأنصار من البطانة نفسها، نراها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[غافر: 28].

كما نرى أن موقف الأنصار المؤمنين سرا، موقف وسط وحياد، يأخذه كثير من الناس في هذه المرحلة، نجده في قوله تعالى: ﴿..... وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[غافر: 28]؛ لكن هذا الموقف ينقلب إلى مواجهة علنية، بعد إيمان السحرة، وانتشار الدعوة.

هنا ينتقل الحاكم المستبد من التكذيب إلى البطش والإعدام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾[غافر: 25-26] ولكن من هؤلاء الذين (قالوا اقتلوا)؟ لقد جاء الجواب في نفس السورة بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤﴾[غافر: 24] فالذي اتخذ قرار القتل ثلاثة هم فرعون رأس السلطة السياسية، وهامان رأس السلطة الدينية، وقارون ممثل الأغنياء، وأغنى واحد فيهم.

فالتحالف غير المقدس قائم بين هذه السلطات الثلاث لقمع المطالبة بالحرية والتحرير، ولكن رأس السلطة السياسية المستبدة هو المنفذ لرغبات هذه السلطات الثلاث.

عباد الله: للاستبداد علامات ومعالم: فأول هذه المعالم: الاعتماد على الكذب والتدجيل، وتجاهل الحقائق والحقوق، والتملص من الواجبات، ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١﴾[آل عمران: 11]

ثانياً: التعذيب، والقتل، والسحل، وانتهاك الأعراض هي اللغة الحقيقية في منطق فرعون، وهي نظريته الأسمى في التعاطي مع المخالفين له في الرأي. وقد يتحول الطاغية تكتيكياً إلى بعض الاختيارات الفكرية لاحتواء مخالفيه، ولكن منطقه الاستراتيجي السحق والسحل والتهميش هو الثابت والمعتمد﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾[الأعراف: 141].

ثالثاً: من منطق الطغاة تمزيق النسيج الاجتماعي بضرب قيمه الاجتماعية، وتقسيم المجتمع إلى شرق وغرب، وموالين ومعادين، وأغنياء وفقراء، ومتعلمين وجهلاء، ومن ثم تقسيم معارضيه إلى قوى متناحرة ومتنافرة، وتحويل أفكارهم إلى أفكار غثائية، وآلياتهم إلى أليات بالية. وفرعون بهذا المنطق يبث الفوضى ويثير دوافع الاحتراب بين طبقات المجتمع الممزق﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً .. [القصص: 4]

رابعاً: يترتب على هذا المنطق؛ منطق تمزيق النسيج الاجتماعي قيماً وفكراً إلى تشبع نفسية الطاغية بالفرعونية، والشعور بالسيطرة التامة، والملكية الكاملة للوطن والمواطنين، ومن ثم فهو صاحب الحق المطلق في التصرف فيما يملك بدون مساءلة ولا مراجعة﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾[الزُّخرف: 51]

خامساً: وبهذه الملكية المطلقة ومطلق الملكية للوطن والمواطن يرى فرعون أنه صاحب الحق في صبغ الوطن والمواطنين بأفكاره ونظريته في كل قضية كبيرة أو صغيرة؛ سياسية أو اجتماعية، دينية أو دنيوية. وهو بذلك لا يستحى من أحد فكل الذوات والقيم والأشياء من ممتلكاته﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾[غافر: 29].

هذا وصلوا وسلموا على نبي الهدى ودين الحق، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

الاستبداد السياسي (2)

الحمد لله الذي يعلم سر كل نفس ونجواها. أحاط علمه بكل شيء، وعلِم مسالك النمل وعدد الرمل وأحصاها. أحمده سبحانه حمد من ارتقى في رُتب الإخلاص إلى منتهاها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من طهّر نفسه من الشرك وزكّاها. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأكمل الشرائع وأسناها. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين عضوا على سنته بالنواجذ وتمسكوا بعُراها. وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وألجموا النفوس عن تعديها وطغواها. فليس لها والله إلا ما قدمت يداها. ولو كان لها يوم القيامة ملء الأرض ذهباً ما نفعها ولا أجداها.

عباد الله: لقد كان فرعون مثلاً صارخاً للطاغية المتجبر، وكان قومه صورة للأقوام التي خضعت وتابعت الطاغية، ووصل الأمر بفرعون إلى ادعاء الألوهية والاستخفاف بعقول الناس، والإعراض عن كل الآيات التي جاءته من الله حتى أهلكه الله وقومه. وأمرُ فرعون مثلٌ لكل طاغية يجاوز الحد في الظلم والتجبر والاستبداد والمعصية، والاستخفاف بعقول الناس وإرادتهم ومصالحهم، وكلما أنس منهم السكوت على ظلمه، والخضوع لبغيه وعدوانه ازداد صلفاً وتجبراً وتمرداً، حتى يصل إلى التألُّه، وادعاء الإرادة المطلقة في مصائر الناس من حوله.

وأول ملامح الطغاة وأدواتهم للاستبداد:

أولاً: السلطة: فالأب المستبد يستغل نفوذه المالي وقوته الجسدية ومكانته المعنوية في قهر أبنائه والزوج المستبد يستغل حق القوامة(كما يفهمه) ويستغل تفوقه العضلي وربما المالي في إذلال زوجته ووأدها والمسئول المستبد يستغل ما يملك من صلاحيات للتحكم في رقاب مرؤوسيه والحاكم المستبد يستغل جنوده(الشرطة والجيش) لإرهاب رعيته ويستغل النظام السياسي الموالي له لإضفاء الشرعية على أفعاله وتجريد خصومه من تلك الشرعية ووصفهم بالتآمر والخيانة والإفساد في الأرض وتعكير صفو الأمن.

والقرآن يصور هذا الموقف في قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾[القصص: 8.

وقوله تعالى:﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: 40]

ثانياً: المال: ومن لا يصلح معه الترهيب بالسلطة يصلح معه الترغيب بالمال ولهذا يحرص المستبد على إمساك الثروة في يده لتكون وسيلة ضغط على من تحت يده ووسيلة ترغيب وشراء ذمم.

ثالثاً: المناصب: ينتقى المستبد من بين الناس أولئك المتعطشين للمناصب والراغبين في العلو بأي ثمن فيستخدمهم ويستعملهم كدروع له وكأدوات لحمايته وتبريد أفعاله وتمجيده وتحلية صورته أمام العامة.

رابعاً: الإعلام: فالمستبد يحتاج لمن يدارى سوءاته ويُزين عوراته، ويسوِّق مشروعاته وأفكاره بين الناس، ويبرّر أخطائه ويحولها إلى انتصارات ويمارس التزييف للوعي والتخدير للعقول ودغدغة المشاعر طول الوقت. ومن هنا يمكن أن نعتبر الإعلاميين الموالين لأي مستبد بمثابة سحرة فرعون الذين كانت مهمتهم أن يسحروا أعين الناس بمعنى تزييف وعيهم.

خامساً: رجال الدين: ونقصد بهم فئة معينة من أهل الدين يقبلون إضفاء شرعية دينية على فكرة الاستبداد وإضفاء شرعية على كل أفعال المستبد واستغلال المفاهيم الدينية لتبرير وتمرير كل ما يقوم به المستبد وإصدار الفتاوى المبنية على تفسيرات تلوى عنق الحقيقة لمصلحة المستبد. وكل مستبد يسعى إلى تقريب عدد من رجال الدين(حتى ولو كان هو ملحداً أو علمانياً) لمعرفته بقيمة الدين لدى الناس وتأثرهم به.

أيها المسلمون: المستبد يصنعه الناس ومن حوله:

قد يبدو للنظر القصير أن مجموعة المحيطين بالمستبد ضحايا له؛ إذ يعانون من استبداده ويتحملونه على مضض. وهذا صحيح من جانب واحد أما الجانب الآخر فهو أنهم شاركوا في صنع هذا المستبد بعضهم شارك بالأقوال والأفعال التي ضخمت ذات المستبد (كالمدح والثناء والتبرير لكل صفات المستبد وأفعاله والمشاركة في تنفيذ مشروعات المستبد) وبعضهم الآخر شارك بالصمت والانكماش مما سمح لصوت المستبد أن يعلو عمن سواه وسمح لذاته أن تتمدد في الفراغ الذي انسحب منه الآخرون كرهاً أو طوعاً.

ولهذا كانت قاعدة تغيير المنكر واجبة وفاعلة على مختلف مستويات القدرة من اليد إلى اللسان إلى القلب(والاستبداد من أخطر المنكرات)قال -ﷺ-: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» [صحيح مسلم (49)]... وقوله -ﷺ-: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

وعلى الرغم من أن التغيير بالقلب يبدو هافتاً وضعيفاً إلا أنه مهم جداً حين يعجز الإنسان عن التغيير بالوسائل الأخرى(اليد واللسان) فبقاء الرفض القلبي للمنكر هو بمثابة بذرة للخير وجذوة للحق تظل كامنة إلى أن تتاح لها الظروف للنمو والظهور ولولاها لاختفى الخير وضاع الحق إلى الأبد.

والناس يدفعون ثمن سكوتهم على الاستبداد مرتين مرة في الدنيا ومرة في الآخرة ففي الدنيا فساد وضياع ومعاناة وفى الآخرة عذاب شديد وكأن الاستبداد خطيئة دنيوية وأخروية معاً.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لكعب بن عُجْره: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء يا كعب**» قال وما إمارة السفهاء؟ قال: **أمراء يكونون بعدى لا يهدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم أولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي**»

[رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح كما في إلى الترغيب للمنذري والزوائد للهيثمى 5/ 247].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: «**إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم فقد تودع منهم**» [رواه أحمد في المسند وصحح شاكر إسناده (6521) ونسبه الهيثمي للبزار أيضاً بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح 7/ 262 والحاكم وصححه ووافقه الذهبي 4/ 96)].

وعلى الرغم من حذر المستبد(فرعون أي فرعون) ويقظته وحرصه على التخلص من كل الرجال المنافسين أو المهددين لملكه إلا أن هذا الحذر لا يمنع نفاذ مشيئة الله في انهيار ملكه وتمكين أولئك الذين استضعفهم وأذلهم:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾[القصص: 6]

وفرعون يجلب على قومه الشح والفقر﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[الأعرف:130] وفرعون يبنى مجداً زائفاً قضت مشيئة الله أن يُدمّر، قال تعالى ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: 137]

وفرعون وحاشيته لا يؤمنون بآيات الله حتى وإن تظاهروا بالإيمان وتوشحوا بالدين﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال: 52]

ولسان حالهم يفضحهم فأفعالهم توحي بتكذيب آيات الله ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾[آل عمران: 11]

ومصير فرعون وأعوانه الهلاك﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأنفال: 54]وفرعون لا يتورع عن استخدام كل الوسائل للدعاية لنفسه وتزيين صورته فلكل فرعون سحرة (إعلاميون) يمارسون تزييف وعى الناس وإبهارهم بالصورة أو بالكلمة أو بالفعل﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [يونس: 79].

وفرعون يحرص على تخويف الناس وفتنهم: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ ﴿٨٣﴾﴾[يونس: 83]. وفرعون يستعلي دائما في الأرض ويتسم بالإسراف والطغيان وتجاوز كل الحدود ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾[يونس: 83] وفرعون يحرص على التحلي بمظاهر الزينة والفخامة ليحيط نفسه بهالات الملك والعز ليبهر بها أعين الناس ويحرص على امتلاك المال ليضمن به النفوذ والقدرة ويستخدمه في شراء الذمم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ ﴿٨٨﴾﴾[يونس: 88] وفرعون لا يهدأ ولا ينام بل يتتبع أعداءه أينما ذهبوا بعيونه وببطشه ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴿٩٠﴾﴾[يونس: 90].

وفرعون لا يتردد أن يلصق التهم بمعارضيه لينفر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾[الإسراء: 101]

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر. إنك على كل شيء قدير.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله أحاط بكل شيء خبراً، وجعل لكل شيء قدراً، وأسبغ على الخلائق من حفظه ستراً. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافة عذراً ونذراً. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه.. أخلد الله لهم ذكراً وأعظم لهم أجراً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: عباد الله: فرعون رمز الاستبداد طاغ ومتجبر ومتجاوز كل الحدود في الظلم: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[طه: 24]. وفرعون لا يكف عن المكر والتدبير وحشد كل إمكاناته للدفاع عن ملكه والاستعراض لقوته لإرهاب معارضيه ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [طه: 60] وفرعون ينحرف بقومه عن الجادة ويضلهم عن سواء السبيل ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾[طه: 79]. وفرعون وأعوانه لا يكفون عن ظلم الناس لدرجة أن الظلم أصبح أحد صفاتهم المشهورة.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء: 10و11].

وفرعون يشترى كل شيء بالمال، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الشعراء: 41] وفرعون يوهم أتباعه أن له أسرار ومعجزات وقدرات هائلة، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: 44]، وفرعون يتسم بالفسق والخروج عن طريق الحق: ﴿.....إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: 12]

وفرعون لا يتورع عن إعلان ألوهيته بشكل مباشر أو غير مباشر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38]

ويتشكل ثالوث شيطاني آخر من فرعون (الطاغية المستبد) وهامان (السياسي الوصولي الداهية) وقارون (صاحب رأس المال الجشع) يقول تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت: 39].

وفرعون لا يتورع عن قتل معارضيه (تصفيتهم جسدياً أو معنوياً) أو محاولة قتلهم ظناً منه أن ذلك سوف يحل المشكلة، قال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: 26]

وفرعون يحرص على حجب الرؤية والمعرفة والحقيقة عن شعبه حتى ينفرد وحده ببرمجة عقولهم وتزييف وعيهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: 29]

وفرعون من كثرة ما مارس الكذب والخداع يقع هو في نفسه في شرك الأوهام فيصدقها ويعانى هو نفسه من تزييف الوعي، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 37].

وفرعون لا يصل إلى شيء في النهاية فقد انهار كل فرعون على مدى التاريخ وما كيد فرعون إلا في تباب، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: 45]

وفرعون لا يلقى جزاءه في الدنيا فقط بل ينتظره عذاب شديد في الآخرة ليس هو وحده بل كل من انتسب إليه أو عمل معه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 46]

عباد الله للاستبداد آثار:

أولاً: كبرياء فرد:

من أول آثار الاستبداد كما هو ملاحظ من تتبع تاريخ الاستبداد –كبرياء الحاكم وتعاليه، فالاستبداد يجعل الكبرياء تجيش في نفس صاحب السلطة العامة فتحمله من مكانه حيث يعيش مع الناس على ظهر الأرض إلى سماء يتخيلها وينظر إلى الناس من عليائها، فإذا هو يرى العمالقة أقزاماً ويحسب الخير الذي إن وجد للناس وعاشوا فيه فإنه فيض السحاب الهامي من يده المباركة.

و الله ﷻ قد خلق البشر آحاداً صحيحة وجعل لكل واحد منهم مدى معيناً يمتد فيه طولاً وعرضاً، فإذا تطاول أحدهم وانتفخ فعلى حساب الآخرين حتماً، ومن هنا تجد من حوله أنصاف بشر أو أرباع بشر!!

ثانياً: الرياء بين الحاكم والمحكومين:

حيث يوجد الحكام المستكبرون يوجد الأتباع المتعلقون والأشياع المراؤون وطبيعة المستضعفين أن يسارعوا إلى مرضاة رؤسائهم، وإجابة رغائبهم ولو داسوا في ذلك مقدسات الأديان والأخلاق.

والحاكم المستبد يبارك هذه الطبيعة الدنسة ويغدق عليها ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الاستبداد السياسي في الأرض لوجدنا مراءاة الحاكم وقد وطأت أكتاف المنكر وأقامت للأكاذيب سوقاً رائجة وقلبت الحقائق وصنعت الدواهي وقد يكون الرياء من الصغار للكبار ابتغاء عرض الدنيا، وقد يكون من الكبار للصغار ابتغاء تأليف الأتباع.

هذا وصلوا وسلموا على نبي الهدى ودين الحق، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

انتهى الجزء التاسع من كتاب بستان الخطيب بعون الله وتوفيقه، ونلتقي بإذن الله في الجزء العاشر قريباً إذا كان في العمر بقية والله الهادي إلى سواء السبيل.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الـــذي يقـرأ كـتـــابِ دعا لي بالخـلاص من الحســـاب

اللهم أغفر للقارئ والكاتب.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ الدكتور أمير محمد المدري

اليمن – المهرة

Almadari_1@hotmail. com

وتس آب/7114232329 - 770343470

تم الانتهاء من هذه الطبعة في مدينة سيحوت بالمهرة يوم الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الثاني لعام 1445هـ، الموافق التاسع والعشرين من شهر أكتوبر 2023م.